أوسمة حافظ القرآن

إعداد / أبي عبد الله
فيصل بن عبده قائد الحاشدي

تقريظ أستاذنا الجليل
الأديب عبد الكريم بن محمد العماد

أوسمة حافظ القرآن

بشراك يا حافظ القرآن فاغتنم ... اقرأ، ورتل، وجوّد أعظم الكلم

بشراك إنك خير الناس قاطبة ... نلت الشفاعة بالقرآن فاستلم

من ذا يدانيك في شأو وفي نسب؟! ... فأنت من أهل رب الخلق كلهم

غبطت ذا نشب[1] في الخير ينفقه ... وحافظاً عاملاً بالحل والحرم

إذا التزمت فكالأترجة اجتمعت ... كل المحاسن فيها فاتل والتزم

ترقى بآياته ما دمت تقرؤها ... حتى تنال علواً شامخ السنم

قد ضاعف الله أجر القار نصيبه له ... الحرف منه بعشر غاية الكرم

الماهر الفذ بالقرآن صحبته ... مع الملائكة الأبرار في العظم

إن السكينة للقرآن قد نزلت ... تدنو لتسمع فيه أعظم الحكم

لو أنه في إهاب[2] ثم حط على ... نار تأجج لم تحرقه بالحمم

يظل صاحبه من حر يومئذ ... فليس يفزع من هول ومن نقم

كل التجارات لم يؤمن خسارتها ... إلا تجارته مأمونة الندم

هو الغنى دون أموال تعبت لها ... وعاصم من ضلال كل معتصم

نور لصاحبه في الأرض يرشده ... وذخره يوم يبعث الله للأمم

أخلاقه حامليه من نوره اقتبست ... تلوه نوراً فلم يخطئ ولم يلم

قد اقتدى برسول الله دارسه ... فالزم تعاهده كالجائع النهم

فكل من حفظ السبع الطوال غدا ... حبراً[3]، فكيف بمن وفى بلا سأم

وروحه في سماء الله سابحة ... والذكر في الأرض، فالزم عطر كل فم

١- النشب بفتحتين: المال الأصيل.

٢- الإهاب بزنة الكتاب: الجلد.

٣- الحبر بالفتح والكسر: العالم، والجمع أحبار، وحبور.

=

تاج الكرامة حتى ذمة جوائزه ... لو زنته بكنوز الأرض لم تقم

في سورة الكهف عشر من أوائلها ... يعصمه من فتنة الدجال فاعتصم

في محكم الذكر زهراوان حفظهما ... يذود عنك لظى في يوم مزدحم

إذا تعلمت منه آية لغدت ... أجل من ناقة عن أنفس النعم

حبل لذي الله في العلياء تمسكه ... من أمسك الرق المبذول لم يضم (١)

ومن أحب كتاب الله نال بها ... محبة الله حقا ليس بالحلم

قرآننا قائد فاختره قيادته ... لجنة الخلد أم للمرتع الوخم

وحجة لك إن تسمع مواعظه ... لكن عليك إذا ما كنت في صمم

لا شيء من معجزات الله تعدله ... وقد حوى كتب رسل الأعصر الدهم (٢)

خير المواريث ميراث النبي فقد ... أوصى به منهجا للخير والقيم

وقدمه هو الدارس حامله ... له مكانته وشأن جد محترم

إجلال ذي الذكر إجلال لخالقنا ... وكل من لم يبجل حامليه عمي

إن كنت تبرأ من إبليس والديك به ... تاجا من النور يحكي الشمس في الظلم

رجاحة العقل تبقى من شمائله ... لم يخش من يحمل القرآن من هرم

فاجهد على حفظه والزم تعاهده ... فإن نسيانه كالسيل في الأكم

فالقارئون له والقلب منشغل ... كصائم الشك لم يفطر ولم يصم

وهذه من رضى الرحمن أو سمة ... لحامل الذكر من عرب ومن عجم

لقد حواها كتاب كله درر ... لفصل الحاشوي صاحب الهمم

إني عجبت لها بزت مساعفنا ... وربها قد براه الله بالعصم

حواسنا حارس حتى إذا رتعت ... من الهوى لم تذد ذنبا على غنم

ما ضره نقصت منهن واحدة ... منابه القلب لا يحتاج للخدم

يظل يحمل في تأليفه كتبا ... مثل النجوم التي تهديك في الظلم

لا تعرف الفتنة طعم الشهد إن نظرت ... إلا إذا نظرت في شهدهم العمم (٣)

كنوز الجواهر من أغلى نفائسها ... كأنما التبر (٤) مسكوب من القلم

فارزقه يا رب إخلاصا وزده على ... ما يرتجي كرما يا واسع الكرم

١- لم يضم: لم يظلم. ٢- الأعصر الدهم: القديمة الدارسة.

٣- العمم: [illegible] التام العام

٤- التبر: الذهب.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ:

أمتنّ الله -سبحانه وتعالى- على خَلْقِه -وله الحمد- بالإقبال الكبير على كتاب الكريم تلاوةً، ومدارسةً، وتدبرًا، وتسابقه الصِّغار والكبار على حِفْظِه، وأخذ الإجازات من أهله، والتماس علوِّ الإسناد في القراءات وهذا من المبشِّرات.

"يا دار قرآن علوتِ إلى العلى
بجُهُودِ قَوْمٍ ثَبَّتوا الأركانا
بَدَءُوا من (الكُتَّاب) أوّل نبتةٍ
غُرِسَتْ فأثْمَرَ عُودُها فُرْسانا
حَمَلُوا على أكتافِهِم أحلامَهُمْ
يَبْنُونَ صرحًا بالتُّقى مُزْدانا
لِبنَاتُهُ اكتملت بحفظِ كتابِهم
كالنُّورِ حين يَتِمُّ بَدْرٌ زمانا"

فإلى هؤلاء الرُّكْبِ الميامين المباركين أُهْدِي رسالتي هذه إنها هدية وأيّ هدية تزري بهدايا الملوك.

والتي سمّيتها "أُنموذج حافظ القرآن"

"رأيتُ هدايا الأرض دون قدرها
فما هديتي العلم الذي جلّ ذكره
عيونًا من الأخبار والأدب الذي
تضوّع مسراه وأينع زهرهُ"

هي لهم هدية، ولمن بعدهم حادي مسافر، ورفيق طريق
تسمو بهم إلى نيل تلك الأوسمة
يقولون قبل الدار جار موافق
وقبل الطريق النهج أنس رفيق «١»
فخيرها أن يكون وساماً «ألذ من المنى» «٢»
وكذا أوسمة نافعة، مباركة، لا كتلك الأوسمة
التي تعلق على الأكتاف والصدور و«لا تقع على قيمة» «٣»
فدونك هديتي تزف إليك فتقبلها بقبول حسن فإنما
«نزلت تسليمي بتسليم» «٤»

فدونك من أبكار علمي رسالة
من الحاشدي تغدو إلى خير خاطب

وختاماً
أسأل من الله - سبحانه وتعالى - بأسمائه الحسنى وصفاته العليا
أن ينفع بها كل من قرأها، وأن يجعلها ذخراً لي ولوالدي،
ولمشايخي.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه أبو عبد الله
فيصل بن عبده قائد الحاشدي
١٧ ربيع أول ١٤٢٦هـ.

١- «زهرة الأكم في الأمثال والحكم» (٢/٥٨).
٢- «مجمع الأمثال» للميداني (٢/٢٥٢). ٣- «المرجع السابق» (٢/٢٥٧).
٤- «المرجع السابق» (١/٤١٢) والمعنى: أن الهدية وضعت في موضعها.

أَلَا إِنَّ أَوْلَى القَوْلِ فِي كُلِّ مَا يَجْرِي

نُقَدِّمُهُ بِالحَمْدِ لِلَّهِ وَالشُّكْرِ

وَيَا حَافِظَ القُرْآنِ طُوبَى لَكَ اسْتَمِعْ

فَضَائِلَ مَنْ يَتْلُو القُرْآنَ وَمَنْ يُقْرِي

فَإِنَّهُمْ أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالتُّقَى

وَزِينَةُ عِبَادِ اللَّهِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ

هُمُ وَرِثُوا عِلْمَ النَّبِيِّينَ مِنْهُمُ

وَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي المُدْنِ وَالكَفْرِ

وَقَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ النُّبُوَّةَ صَدْرَهُمْ

وَهُمْ أُمَنَاءُ اللَّهِ فِي البَدْوِ وَالحَضَرِ (١)

١- هذه القصيدة الرائية في مدح أهل القرآن من نظم الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف الخراساني المقرئ كما في كتاب «غاية النهاية» للإمام ابن الجزري (٢٥٥٧). رواها عنه أبو علي الحسن بن علي الأهوازي (٣٦٢-٤٤٦ هـ) إمام القراءة في عصره، من أهل الأهواز، قدم دمشق سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة فاستوطنها وتوفي بها، كان أعلى من بقي إسنادًا في القراءات في وقته، له «الوجيز في شرح أداء القراء الثمانية» وغيره. ترجمته في: معرفة القراء الكبار للذهبي (٢٤٣)، و«غاية النهاية» (١٠٠٦). والقصيدة نحو من سبعين بيتًا، وليتنا نحفل ببقيتها، لأنها في مدح أهل القرآن!

الوسام الأول

مَنْ حَفِظَ القرآنَ صغيراً، فقد أُوتيَ الحُكمَ صبيّاً

قال الله - سبحانه وتعالى - عن يحيى - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وآتيناه الحُكمَ صبيّاً﴾ [مريم: ١٢].

قال صديق حسن خان - رحمه الله -: "أراد بالحُكمِ فهمَ الكتاب، فقرأ التوراة وهو صغير".

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أُوتي الحُكمَ صبيّاً" (٢).

التعليق:

١-

٢- أخرجه ابن مردويه والبيهقيّ في "شعب الإيمان" عن ابن عبّاس مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم والدَّيلميّ موقوفاً على ابن عبّاس. انظر "الدر المنثور" (٥/٤٨٥)، و"كشف الخفاء" للعجلونيّ (٢/٣٦٩)، و"كنز العمّال" برقم (٢٤٥٢)، وانظر: "تفسير البغويّ" (٥/٢٢١).

ما ضرك أخي الحبيب لو اجتهدت في تعليم ولدك القرآن صغيراً فتسعد به في الدارين، ففي الدنيا ينعكس القرآن على أخلاقه وأدبه وفي الأخرى تلبس تاج الوقار بفضل تعليم ولدك القرآن.

أبناؤكم في ربيع العمر ما صرفت ... عقولهم عن كلام الله أشغالُ

ما ضرَّ أبناءكم منكم مناصحةٌ ... وإن قسوتم ففي الإصباح آمالُ

الوسام الثاني
حافظ القرآن خير الناس وأفضلهم

عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي - رحمه الله - عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
« خيركم من تعلم القرآن وعلمه ». (١)
قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج. قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا.
وعنه - أيضاً - عن عثمان - رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه ». (٢)

الشرح:
قال ابن حجر - رحمه الله -: « لا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمِّلٌ لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي؛ ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى - سبحانه وتعالى - بقوله:
﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾
والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع » اهـ (٣)

وقال ابن بطال - رحمه الله -: « وحديث عثمان - رضي الله عنه - يدل على أن قراءة القرآن أفضل أعمال البر كلها؛ لأنه إنما وجبت له الخيرية والفضل من أجل القرآن، وكان له فضل التعليم جارياً ما دام كل من علمه تالياً ». (٤)

١- رواه البخاري (٤٧٣٩).
٢- رواه البخاري (٤٧٤٠).
٣- « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » (٩/٧٦).
٤- « شرح صحيح البخاري » لابن بطال باختصار (١٠/٢٦٥).

وقال ابنُ عثيمين - رحمه الله -: «قولُه: (خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه) الخطابُ للأُمَّةِ عامَّةً، فخيرُ الناسِ مَن جمع بين هذين الوصفين، تعلَّمه من غيره، وعلَّمه غيرَه.

والتعلُّم والتعليم يشمل التعليمَ اللفظيَّ والمعنويَّ، فمَن حفَّظ القرآنَ يعني: صار يُعلِّم الناسَ التلاوةَ ويُحفِّظُهم إيَّاه - فهو داخلٌ في التعليم، وكذلك مَن تعلَّم القرآنَ على هذا الوجه فهو داخلٌ في التعلُّم، وبه نعرف فضيلةَ الحِلَقِ الموجودةِ الآن في كثيرٍ من البلاد - ولله الحمدُ - في المساجد، حيث يتعلَّمُ الصِّبيانُ كلامَ الله - عزوجلَّ -، فمَن ساهم فيها بشيءٍ فله أجرٌ، ومَن أدخل أولادَه فيها فله أجرٌ، ومَن تبرَّع وعلَّم فيها فله أجرٌ، كلُّهم داخلون في قوله: (خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه).

والنفعُ الثاني تعليمُ المعنى - يعني: تعليمَ التفسير - أن الإنسانَ يجلس إلى الناسِ يُعلِّمهم تفسيرَ كلامِ الله - عزوجلَّ -، فإذا علَّم الإنسانُ غيرَه كيف يُفسِّرُ القرآنَ، وأعطاه القواعدَ في ذلك - فهذا من تعليمِ القرآنِ». اهـ (١)

وهذا الحديثُ في أفضليَّةِ مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه حمل أبا عبدِ الرحمنِ السُّلَميَّ - وهو من كبارِ التابعين - أن جلس مُدَّةً طويلةً يُعلِّم الناسَ القرآنَ لتحصيلِ تلك الفضيلةِ.

قال ابنُ حجرٍ - رحمه الله -: «قولُه: (قال: وأقرأ أبو عبدِ الرحمنِ في إمرةِ عثمانَ حتى كان الحجَّاجُ) أي: حتى وَلِيَ الحجَّاجُ على العراقِ.

قلتُ: بين أوَّلِ خلافةِ عثمانَ وآخرِ ولايةِ الحجَّاجِ اثنتان وسبعون سنةً إلا ثلاثةَ أشهرٍ، وبين آخرِ خلافةِ عثمانَ وأوَّلِ ولايةِ الحجَّاجِ العراقَ ثمانٍ وثلاثون سنةً، ولم أقفْ على تعيينِ ابتداءِ إقراءِ أبي عبدِ الرحمنِ وآخرِه، فالله أعلمُ بمقدارِ ذلك، ويُعرفُ من الذي ذكرتُه أقصى المدَّةِ وأدناها». اهـ (٢)

١- «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين باختصار (٦٤١/٤).
٢- «فتح الباري» (٧٧-٧٦/٩).

قد نلتَ يا حامل القرآنِ منزلةً
ستبقى على الدهرِ للأسلافِ تذكارا
قد خصك اللهُ بالخيراتِ والمننِ
إذ كنتَ ممن حفظ الآيِ مختارا
واهنأْ بما قد حباك اللهُ من شرفٍ
فلستَ يوماً لأهلِ اللهو سمارا
فبين جنسك نورٌ قد سموت بهِ
فلستَ كلاً ولا في الأرضِ جبارا

الوسام الثالث

القرآن يشفع لحافظه يوم القيامة

عن أبي أُمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
«اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه».(١)

الشرح:

قال الشيخ المباركفوري - رحمه الله -:
«قوله: (اقرؤوا القرآن) أي: اغتنموا قراءته وداوموا عليه.
(فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) أي: القارئين بأن يتمثل(٢) بصورة يراه الناس، كما يجعل الله الأعمال للعباد صورة ووزناً؛ لتوضع في الميزان، والله على كل شيء قدير، فليتقبل المؤمن هذا وأمثاله، ويعتقد بإيمانه أنه ليس للعقل في مثل هذا سبيل»، قاله العزيزي».(٣)

قال الشاطبي - رحمه الله -: وإن كتاب الله أوثق شافع وأغنى غناء واهباً متفضلاً(٤)
وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملاً(٥)

١- رواه مسلم (٨٠٤).
٢- أي: يتمثل ثواب القرآن، لا القرآن نفسه - كما سيأتي إن شاء الله -.
٣- «مرعاة المفاتيح» (٧/ ١٨٨).
٤- الغناء - بالفتح والمد -: الكفاية، وهو هنا مصدر بمعنى الفاعل أي: أغنى مغنٍ، والمعنى: أن كتاب الله كفايته وإغناؤه أكثر من كفاية وإغناء غيره حال كونه واهباً لقارئه الثواب، متفضلاً عليه بالكرامة.
٥- «حرز الأماني ووجه التهاني» (ص) تحقيق الزعبي.

الدرس الرابع

انتساب حافظ القرآن إلى الله - عز وجل -.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن لله أهلين من الناس».
قالوا: من هم يا رسول الله؟
قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته». (١)

الشرح:

قال المناوي - رحمه الله -: «(أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) أي: حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله المختصون به اختصاص أهل الإنسان به، وسموا بذلك؛ تعظيمًا لهم كما يقال: بيت الله.
قال الحكيم: وإنما يكون هذا في قارئ انتفى عنه جور قلبه، وذهب جناية نفسه، فأمنه القرآن، فارتفع في صدره، وتكشف له عن زينته ومحاسنه، فمثله كعروس مزينة مد يده إليها دنس متلوث متلطخ بالقذر، فهي تعافه وتتقذره، فإذا تطهر وتزين وتطيب فقد أدى حقها، وأقبلت إليه بوجهها، فصار من أهلها، فلذا القرآن فليس من أهله إلا من تطهر من الذنوب ظاهرًا وباطنًا، وتزين بالطاعة لذلك، فعندها يكون من أهل الله، وحرام على من ليس بهذه الصفة أن يكون من الخواص، وكيف ينال هذه الرتبة العظمى عبد أبعد عن مولاه واتخذ إلهه هواه؟! ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ [الأعراف: ١٤٦]» اهـ (٢)

وبعد فالإنسان ليس يشرف ... إلا بما يحفظه ويعرف
لذاك كان حاملو القرآن ... أشراف الأمة أولي الإحسان

١- (صحيح) أخرجه أحمد (١٢٢٠١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٢١)، وابن ماجه (٢١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٦٥) و«صحيح الترغيب» (١٤٣٢).
٢- «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٢٧٥ ح ٢)، (٢/ ٢٧٦٨).

الوسام الخامس

حافظُ القرآنِ هو المحسودُ بحقٍّ المغبوطُ بينَ الخلقِ

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ - رضي اللهُ عنهما - عن النبيِّ - صلى اللهُ عليه وسلم - أنه قال: « لا حسدَ إلا في اثنتينِ: رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآنَ، فهو يقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً، فهو ينفقُهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ ». (١)

وعن أبي هريرةَ - رضي اللهُ عنه - : أنَّ رسولَ اللهِ - صلى اللهُ عليه وسلم - قال: « لا حسدَ إلا في اثنتينِ: رجلٌ علّمه اللهُ القرآنَ، فهو يتلوه آناءَ الليلِ، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أوتيَ فلانٌ، فعملتُ مثلَ ما يعملُ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً، فهو يهلكُه في الحقِّ، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أوتيَ فلانٌ، فعملتُ مثلَ ما يعملُ ». (٢)

الشرح:

قال الشيخ الملا علي القاري - رحمه اللهُ - : « قوله: (لا حسدَ) أي: لا غبطةَ ... (آتاه اللهُ القرآنَ) أي: منَّ عليه بحفظِه له كما ينبغي. (فهو يقومُ به) أي: بتلاوتِه وحفظِ مبانيه، أو بالتأملِ في أحكامِه ومعانيه، أو بالعملِ بأوامرِه ومناهيه، أو يصلي به ويتحلى بآدابِه. (آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ) أي: في ساعاتِهما، جمعُ إنًى - بالكسرِ بوزنِ معًى -، وإِنْوٍ، وإِنْيٍ بسكونِ النونِ. والمعنى: أنه لا يغفلُ عنه إلا في قليلٍ من الأوقاتِ.

---

١ - رواه البخاريُّ (٧٠٩١)، ومسلم (٨١٥).

٢ - رواه البخاريُّ (٦٦٩١).

قال ميرك: الحسد قسمان: حقيقيٌّ، ومجازيٌّ.
فالحقيقيُّ: تمنّي زوال النّعمة عن صاحبها، وهو حرام بإجماع المسلمين مع النّصوص الصّريحة الصّحيحة.
وأمّا المجازيُّ: فهو الغِبْطة، وهي تمنّي مثل النّعمة الّتي على الغير من غير تمنّي زوال عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدّنيا كانت مباحةً، وإن كانت طاعةً فهي مستحبّة.
والمراد في الحديث: لا غبطة محمودةً إلّا في هاتين الخصلتين، يعني فيهما وأمثالهما، ولذا قال المظهر: يعني لا ينبغي أن يتمنّى الرّجل أن يكون له مثل صاحب نعمةٍ إلّا أن تكون النّعمة ممّا يتقرّب به إلى الله - تعالى -: كتلاوة القرآن، والتّصدّق بالمال، وغيرهما من الخيرات». (١)

١- «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/١٢١٢) باختصار.

الوسام السادس

حافظ القرآن طيِّب الظاهر والباطن

عن أبي موسى الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: « مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ كمثلِ الأُترُجَّةِ، ريحُها طيِّبٌ، وطعمُها طيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثلِ التمرةِ، لا ريحَ لها، وطعمُها حلوٌ، ومَثَلُ المنافقِ الذي يقرأُ القرآنَ مَثَلُ الريحانةِ، ريحُها طيِّبٌ، وطعمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثلِ الحنظلةِ، ليس لها ريحٌ، وطعمُها مُرٌّ ». (1)

الشرح:

~~فتأمل يا حافظ القرآن فقد~~ دل الحديث على أنَّ حافظ القرآن طيِّبٌ، يشعُّ منه القولُ الطيِّبُ، والسلوكُ الطيِّبُ، والسمتُ الطيِّبُ، بل والرائحةُ الطيِّبةُ.

~~قال الشيخ فيصل النجدي: « شُبِّه المؤمن القارئ بالأترجة لما اشتملت عليه من الخواص الموجودة فيها مع حسن المنظر، وطيب الطعم،~~

=

١- رواه البخاري (٥١١١)، ومسلم (٧٩٧).

قال ابن حجر -رحمه الله-: «قيل: خصّ صفة الإيمان بالطَّعْم، وصفة التِّلاوة بالرِّيح؛ لأنَّ الإيمان أَلْزَمُ للمؤمن من القرآن؛ إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة، وكذلك الطَّعْم أَلْزَمُ للجَوْهَر من الرِّيح؛ فقد يذهب ريح الجوهر، ويبقى طعمُه.

ثُمَّ قيل: الحكمة في تخصيص الأُتْرُجَّة بالتَّمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطَّعْم والرِّيح كالتُّفَّاحة؛ لأنَّه يُتداوى بقشرها، ويُستخرج من حَبِّها دُهْن له منافع، وقيل: إنَّ الجنَّ لا تقرب البيت الذي فيه الأُتْرُجّ، فناسب أن يُمثَّل به القرآن الذي لا تقربه الشَّياطين، وغلاف حبِّه أبيض، فيناسب قلب المؤمن، وفيها -أيضاً- من المزايا: كِبَرُ جُرْمِها، وحُسْنُ منظرها، وتفريح لونها، ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة، ودباغ مَعِدة، وجودة هضم، ولها منافع أخرى.

ووقع في رواية شُعْبة عن قتادة: (المؤمن الذي يقرأ القرآن، ويعمل به) وهي زيادة مفسِّرة للمراد، وأنَّ التَّمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمرٍ ونهيٍ، لا مُطْلق التِّلاوة.

وفي الحديث فضيلة حاملي القرآن، وضَرْب المَثَل للتَّقريب للفَهْم»(١).

١- «فتح الباري» (٩/ ٦٦-٦٧) باختصار.

الوسام السابع

حافظ القرآن يكسب جبالاً من الحسنات

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الم﴾ حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». (١)

وعنه - أيضاً - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اقرؤوا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول: ﴿الم﴾ حرف، ولكن: ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر، فتلك ثلاثون». (٢)

الشرح:

قال أبو عبد الله التبريزي - رحمه الله -: «قوله: (والحسنة بعشر أمثالها) أي: مضاعفة بالعشر، وهو أقل التضاعف الموعود بقوله - تعالى -: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال الشوكاني: والحديث فيه التصريح بأن قارئ القرآن له بكل حرف منه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، ولما كان الحرف يُطلق على الكلمة المركبة من حرف؛ أوضح النبي - صلى الله عليه وسلم - أن المراد هنا: الحرف البسيط المنفرد لا الكلمة، وهذا أجر عظيم، وثواب كبير، ولله الحمد». (٣)

ينال قارئه من جود خالقه	والخير من فيض جود الله منسكب
الحرف أجر به عشر يضاعفها	رب كريم عن الأبصار محتجب

١- (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).

٢- (صحيح) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١/٢٨٥-٢٨٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٦٤).

٣- «مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح» (٧/٤٢٩) باختصار.

اليوم الثامن

حافظ القرآن يجد من النعيم ما لا يجده الملوك

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا، نفّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن يسّر على مُعسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم - إلّا نزلت عليهم السّكينة، وغشيتهم الرّحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه». (١)

الشّرح:

قال المناوي - رحمه الله -: «(ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله - تعالى -) أي: مسجد، وألحق به نحو مدرسة ورباط. (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم) أي: يشتركون في قراءة بعضهم على بعض، ويتعهّدونه خوف النسيان. (إلّا نزلت عليهم السّكينة) فعيلة من السّكون للمبالغة، والمراد هنا الوقار، أو الرّحمة، أو الطمأنينة. (وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة) أي: أحاطت بهم ملائكة الرّحمة. (وذكرهم الله) أثنى عليهم، أو أثابهم. (فيمن عنده) من الأنبياء وكرام الملائكة، والعنديّة عنديّة تشريف ومكانة». (٢)

١- رواه مسلم (٢٦٩٩).

٢- «التيسير شرح الجامع الصغير» للمناوي (٢/٦٥٥).

وقال النووي - رحمه الله -: «وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد...، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما - إن شاء الله - ويدل عليه الحديث الذي بعده(1)؛ فإنه مطلق يتناول جميع المواضع، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج على الغالب، لا سيما في ذلك الزمان، فلا يكون له مفهوم يعمل به».(2)

فهنيئاً لك - يا حافظ القرآن -، فإنك واجد في طريق الحفظ أو المراجعة والمدارسة - من السعادة واللذة والنعيم والراحة والطمأنينة - ما لا يجده الملوك، كما قال أحد السلف: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه - يعني من النعيم - لجالدونا عليه بالسيوف!».(3)

وأي نعيم أعظم من أن تتنزل عليك السكينة، وتغشاك الرحمة، وتحفك الملائكة، ويذكرك الله فيمن عنده؟!

تلك - لعمري - جنة عاجلة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة».(4)

1- يريد حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - أنهما شهدا على النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله - عز وجل - إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده». رواه مسلم (2700).

2- «شرح النووي على مسلم» (17/22).

3- «شرح العقيدة السفارينية» لابن عثيمين (1/101).

4- «مدارج السالكين» (1/454).

وفي ذلك يقول أحد الشعراء :

حلقةُ القرآنِ ما أبهى رباها ! ... أنا لا أعشقُ في الدنيا سواها
روضةٌ ناضرةٌ فواحةٌ ... زاهت الأكوانُ من طيبِ شذاها
قد تجلت شمسها ساطعةً ... تُبْصِرُ الأعينُ من نورِ سناها
فبها ما تشتهي من متعٍ ... ونعيمِ الروحِ ما أحلى جناها
هي للمؤمن نورٌ وهدى وحياةُ الروحِ فازت برؤاها
فترى الأنفسَ فيها سلوةً وترى روضها الزاهي مناها
قرةَ العين في أجوائها وقد إنجاب عن النفس عماها
جلَّ من أبدعها من روضةٍ ضمّخ الريحانُ والمسكُ ثراها.

الوِسَامُ التَّاسِعُ

حافظُ القرآنِ رفيقُ الملائكةِ في الآخرةِ

عن عائشةَ - رضي اللهُ عنها - قالت: قال رسولُ اللهِ - صلّى اللهُ عليه وسلم -: «الماهرُ بالقرآنِ مع السَّفرةِ الكرامِ البررةِ، والذي يقرأُ القرآنَ، ويتتعتعُ فيه - وهو عليه شاقٌّ - له أجرانِ».

وفي لفظٍ: «مَثَلُ الذي يقرأُ القرآنَ - وهو حافظٌ له - مع السَّفرةِ الكرامِ البررةِ، ومَثَلُ الذي يقرأُ - وهو يتعاهدُه، وهو عليه شديدٌ - فله أجرانِ». (١)

الشرح:

قال المهلَّبُ - رحمه اللهُ -: «المهارةُ بالقرآنِ: جودةُ التلاوةِ له بجودةِ الحفظِ، فلا يتلعثمُ في قراءتِه، ولا يتغيّرُ لسانُه بتشكُّكٍ في حرفٍ أو قصّةٍ مختلفةِ النَّصِّ، وتكونُ قراءتُه سَمْحةً بتيسيرِ اللهِ له، كما يسّرَه على الملائكةِ الكرامِ البررةِ، فهو معَها في مثلِ حالِها من الحفظِ وتيسيرِ التلاوةِ، وفي درجةِ الأجرِ - إن شاءَ اللهُ -». (٢)

وقال ابنُ حجرٍ - رحمه اللهُ -: «والمرادُ بالمهارةِ بالقرآنِ: جودةُ الحفظِ، وجودةُ التلاوةِ من غيرِ تردُّدٍ فيه؛ لكونِه يسّرَه اللهُ عليه، كما يسّرَه على الملائكةِ، فكان مثلَها في الحفظِ والدرجةِ». (٣)

١- رواه البخاريُّ (٤٩٢٧)، ومسلم (٧٩٨)، واللفظُ الأوّلُ له، والثاني للبخاريِّ.

٢- «شرح صحيح البخاريِّ» لابن بطالٍ (١٠/٥٤٢).

٣- «فتح الباري» (١٢/٥١٩).

وقال النَّوويُّ - رحمه الله -: « والماهِرُ: الحاذِقُ الكامِلُ الحِفْظِ، الَّذي لا يتوقَّفُ ولا يشُقُّ عليه القراءةُ بجودةِ حِفْظِهِ وإتقانِهِ.

قال القاضي: يُحتمَلُ أن يكونَ معنى كَوْنِهِ مع الملائكةِ: أنَّ له في الآخرةِ منازِلَ يكونُ فيها رفيقاً للملائكةِ السَّفرةِ، لاتِّصافِهِ بصِفَتِهِم من حَمْلِ كتابِ اللهِ - تعالى -.

قال: ويُحتمَلُ أن يُرادَ: أنَّه عامِلٌ بعَمَلِهِم، وسالِكٌ مَسْلَكَهُم.

وأمَّا الَّذي يتَتَعتَعُ فيه: فهُوَ الَّذي يتردَّدُ في تلاوتِهِ لضَعْفِ حِفْظِهِ، فلَهُ أجْرانِ: أجْرٌ بالقراءةِ، وأجْرٌ بتَتَعتُعِهِ في تلاوتِهِ ومشقَّتِهِ.

قال القاضي وغيرُهُ من العلماء: وليس معناه: الَّذي يتَتَعتَعُ عليه له من الأجرِ أكثرُ من الماهِرِ به، بلِ الماهِرُ أفضلُ وأكثرُ أجراً؛ لأنَّه مع السَّفرةِ، وله أجورٌ كثيرةٌ، ولم يذكُرْ هذه المنزلةَ لغيرِهِ، وكيفَ يلحَقُ به مَنْ لم يَعْتَنِ بكتابِ اللهِ - تعالى - وحِفْظِهِ وإتقانِهِ، وكثرةِ تلاوتِهِ وروايتِهِ كاعتنائِهِ حتَّى مَهَرَ فيه؟!، واللهُ أعلمُ » .(١)

وقال ابنُ الجوزيِّ - رحمه الله -: « الماهِرُ: الحاذِقُ، والسَّفرةُ: الملائكةُ، وفي تسميتِهِم بالسَّفرةِ قولانِ:

أحدُهما - أنَّه مأخوذٌ من البيانِ والإيضاحِ، فسُمُّوا سَفَرةً أي: كَتَبةً، لأنَّ الكاتبَ يُبيِّنُ الشَّيءَ ويُوضِحُهُ، ويُقالُ للكاتِبِ: سافِرٌ.

الثَّاني - مأخوذٌ من السِّفارةِ، والسَّفيرُ: الَّذي يُصلِحُ بَيْنَ الاثنين، يُقالُ: سَفَرْتُ بَيْنَ القَوْمِ أي: أصلحتُ، وفيما يَسْفِرونَ فيهِ قولانِ:

أحدُهما - أنَّهم يَسْفِرونَ فيما بَيْنَ اللهِ وأنبيائِهِ.

الثَّاني - في صلاحِ النَّاسِ؛ لأنَّهم ينزِلونَ بالوَحْيِ والتَّأديبِ المُصلِحِ.

وقولُهُ: (الكِرامِ البَرَرةِ) أي: كِرامٍ على ربِّهِم، بَرَرةٍ أي: مُطيعون، والتَّعتعةُ: التردُّدُ في الشَّيءِ والتبلُّدُ، وربَّما تخايلَ السَّامعُ في

١- « شرح النَّوويِّ على مسلم » (٦/٨٥).

قوله: (له أجران) أنه يزيد على الماهر، وليس كذلك؛ لأن المضاعفة للماهر لا تحصر؛ فإن الحسنة تضاعف إلى سبعمائة وأكثر، وإنما الأجر شيء مقدر، فالحسنة لها ثواب معلوم، وفاعلها يعطى ذلك الثواب مضاعفاً إلى عشر مرات، وهذا المقصر منه أجران، فإن قيل: فهلا جعل أجر هذا الذي يشق عليه القرآن أكثر؛ لأن مشقته أعظم؟!.

فالجواب من وجهين:

أحدهما - أنه لا يمهر - منه - غالباً - إلا عن كثرة الدراسة، ولا يقع التتعتع - غالباً - إلا عن قلتها، فباجتهاد الحافظ حتى استقر في قلبه؛ ارتفع أجره.

والثاني - أنه يفضل الحافظ الفهم على البليد لجوهرية خص بها لا تكتسب، كفضل العربي على اللكودن[1]، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء». (٣).

وقال ابن بطال - رحمه الله -: «وتأويل قوله: (له أجران) - والله أعلم - تفسره حديث ابن مسعود: (من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات)[2] فيضاعف الأجر لمن يشتد عليه حفظ القرآن، فيعطى بكل حرف عشرين حسنة، ولأجر الماهر أضعاف هذا إلى ما لا يعلم مقداره؛ لأنه مساو للسفرة الكرام البررة، وهم الملائكة». (٤).

١- اللكودن - بفتح الكاف والدال -: الرجيل.

٢- «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (ص ١٢٩٤).

٣- تقدم تخريجه.

٤- «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٥٤٢ - ٥٤٤).

منطوي لحفاظ الكتاب فإنهم   مع الصفوة الأبرار في الروضة ترفل

الوِسَامُ العَاشِرُ

حِفظُ القرآنِ عِصْمَةٌ لحافظِهِ مِن الضلالِ ما عَمِلَ بهِ

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ - رضي اللهُ عنهما - قال: قال رسولُ اللهِ - صلّى اللهُ عليه وسلّم -: «... وقد تركتُ فيكُم ما لَنْ تَضِلُّوا بعدَهُ - إنِ اعتصمتُم به - كتابَ اللهِ». (١)

الشرح:

قال الشيخ المُلّا عليٌّ القاريُّ - رحمه الله -: «قولُهُ: (لَن تَضِلُّوا بَعْدَهُ) أي: بَعْدَ التمسُّكِ به والعملِ بما فيه، كما قاله الطِّيبيُّ - رحمه الله -، (إِنِ اعتصمتُم به) أي: في الاعتقادِ والعملِ، (كتابَ الله) وإنّما اقتصرَ على الكتابِ؛ لأنّه مشتملٌ على السُّنّةِ لقولِهِ - تعالى -: ﴿أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وقولِهِ: ﴿وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧].

ويلزمُ من العملِ بالكتابِ العملُ بالسُّنّةِ، وفيه إيماءٌ إلى أنّ الأصلَ الأصيلَ هو الكتابُ». (٢)

وفي ذلك يقولُ أستاذُنا عبدُ الكريمِ العمادُ - حفظه الله -:

احفظْ كتابَ اللهِ عزّاً والتزِمْ ... وافخرْ بذلك؛ فقد حملتَ ثقيلا

فهو الغِنى للفقرِ يُبعِدُ همَّهُ ... وهو الهدايةُ؛ فاتّخذهُ دليلا.

١- رواه مسلم (١٢١٨).

٢- «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» باختصار (٥/١٧٧٢).

الوسامُ الحادي عشر
حفظُ القرآنِ عصمةٌ لحافظِهِ من الفتنِ

عن أبي الدرداءِ - رضي الله عنه -: أنَّ النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: «مَنْ حفظَ عشرَ آياتٍ من أوَّلِ سورةِ الكهفِ، عُصِمَ من الدَّجَّالِ».

قال مسلمٌ: قال شعبةُ: من آخرِ الكهفِ. وقال همَّامٌ: من أوَّلِ الكهفِ. (١)

الشرح:

الدَّجَّالُ - بفتحِ أوَّلِهِ والتشديدِ -: من الدجلِ، وهو التغطيةُ، وسُمِّيَ الدَّجَّالُ دجَّالاً؛ لأنَّه يُغطِّي الحقَّ بباطلِهِ، أو لأنَّهُ يُغطِّي على النَّاسِ كفرَهُ بكذبِهِ وتمويهِهِ وتلبيسِهِ عليهم.

والمرادُ بالدَّجَّالِ هنا: الدَّجَّالُ الأكبرُ الَّذي يخرجُ قُبَيْلَ السَّاعةِ في زمنِ المهديِّ وعيسى - عليه السَّلامُ -.

ويُسمَّى مسيحاً؛ لأنَّ إحدى عينيهِ ممسوحةٌ، أو لأنَّه يمسحُ الأرضَ في أربعين يوماً، وفتنتُهُ من أعظمِ الفتنِ والمحنِ التي تمرُّ على النَّاسِ؛ لما يجري على يديهِ من عجائبَ وخوارقَ للعاداتِ: كإنزالِ المطرِ، وإحياءِ الأرضِ بالنباتِ، وإحياءِ الموتى...

ما من نبيٍّ إلَّا وقد أنذرَ قومَهُ الدَّجَّالَ، وكانَ السَّلفُ يُعلِّمون خبرَهُ الأولادَ في الكتاتيبِ، نعوذُ باللهِ من فتنتِهِ!.

قال النوويُّ - رحمه الله - مُبيِّناً سببَ العصمةِ: «قيل: سببُ ذلك ما في أوَّلِها من العجائبِ والآياتِ، فمَنْ تدبَّرها لم يُفتتنْ بالدَّجَّالِ، وكذا

١- رواه مسلم (٨٠٩).

في آخرها قوله - تعالى - : ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا ﴾ [الكهف: ١٠٢] ». (١).

وقال المناوي - رحمه الله - : « وذلك لما في قصة الكهف من العجائب، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال فلم يفتتن، أو لأنه من تدبر هذه الآيات، وتأمل معناها، حذره فأمن منه، أو هذه خصوصية أودعت في السورة ». (٢).

فإذا كانت عشر آيات تعصم الإنسان من أعظم فتنة على الأرض فتنة الدجال، فما ظنكم بمن حفظ القرآن كاملاً ؟!، والله ذو الفضل العظيم.

١ - "شرح النووي على مسلم" (٦ / ٩٢).
٢ - "فيض القدير" (٦ / ١١٨).

الوسام الثاني عشر

القرآن يخاصم عن صاحبه يوم القيامة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن سورة من القرآن - ثلاثون آية - شفعت لرجل، حتى غفر له، وهي: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾». (١)

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «سورة في القرآن - ما هي إلا ثلاثون آية - خاصمت عن صاحبها، حتى أدخلته الجنة، وهي سورة تبارك». (٢)

الشرح:

قال ابن علان الصديقي - رحمه الله -: «قوله: (وهي سورة تبارك الذي بيده الملك) طوّل ما قبله وأبهمه، ثم بيّنه وحصره بقوله: وهي إلخ؛ ليكون أوقع في شرفها وفخامتها، وأبلغ في المواظبة على قراءتها.
وقوله: (شفعت) إمّا على ظاهره إخبارًا عمّا وقع بعد نزولها: أنّ رجلاً قرأها، فشفعت حتى غفر له، أو اطلع على ذلك فأخبر به ترغيبًا فيها، فرجل حينئذ إمّا باقٍ على تنكيره بالنسبة لعلمه ﷺ والأمّة بأن أخبر به على إبهامه، أو للأمّة فقط بأن أُعلِم به وكتمه لأمرٍ له به، أو لمصلحة رآها، أو بمعنى: تشفع في القيامة على حدّ ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ [الأعراف: ٤٤]. فرجل المراد به: جنس القارئ، وإثبات الشفاعة للقرآن صحيح باعتبار أنه يتجسّد، فلا معدل عنه...

١- (حسن) أخرجه أحمد (٧٩٦٢)، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي وحسّنه (٢٨٩١)، والحاكم وصحّحه (١/٥٦٥)، وصحّحه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/٢٧٧)، والشوكاني في «نيل الأوطار» (٢/٢٢٧)، وأحمد شاكر في تعليقه على «مسند أحمد» (١٥/١٢٩)، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩١).
٢- (حسن) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٦٥٤)، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٤٤).

وفي رواية أبي داود: (تشفع) أي: بدل قوله: (شفعت).
خصّت بذلك؛ لافتتاحها بتفرده الحياة، وختمها بالماء الذي هو سبب الحياة، فأنتجت الشفاعة التي هي سبب الحياة الكاملة للمشفوع له، وأيضاً افتتاحها بعظائم عظمته، ثم ببواهر قدرته، وإتقان صنعته، ثم بذم من نازع في ذلك، أو أعرض عنه، ثم بذكر عقابهم، وما له عليهم من النعم، ثم ختمها بما اختصت به من بين سائر السور، وهو الإنعام بالماء المعين الذي هو سبب الحياة المناسب لذلك، لكنه أتم المعافاة من سوء القطيعة بتشفيع هذه السورة في تاليها، وجعلها مانعة عنه، منجية له». (١)

قلت: فإذا كانت سورة واحدة من القرآن تشفع لصاحبها حتى يغفر الله له، بل وتخاصم عنه حتى تدخله الجنة - فكيف بمن حفظ القرآن كاملاً، وعمل به؟!!.
فلا تقف بك همتك عند حفظ سورة أو سور يسيرة، بل لتطر بك همتك إلى حفظ القرآن كاملاً، وإن حفظته بالسند، وترقيت في القراءات، حتى تحصل على إجازات القراءات العشر الصغرى والكبرى بسند عالٍ - فقد تقطعت دونك الأعناق!.

وفي ذلك يقول أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

خاصم النفس عند حفظك للقرآن وابذل في حفظه كل جهد
سورة الملك خاصمت عن ذويها لم تدعهم إلا بجنة خلد
هذه سورة، فكيف إذا ما حزته كله إلى أي سعد؟!!

---

١ - «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٦/٣٣٣).

اليوم الثالث عشر

القراءة نور لصاحبه

عن ابن عبّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النّبيّ - صلى الله عليه وسلّم - إذْ سمع نقيضاً[1] من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا بابٌ من السماء فُتح اليوم، لم يُفتح قطّ إلّا اليوم، فنزل منه ملكٌ، فقال: هذا ملكٌ نزل إلى الأرض، لم ينزل قطّ إلّا اليوم، فسلّم وقال: أبشرْ بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلّا أُعْطيتَه». (٢)

الشّرح:

قال المباركفوريّ - رحمه الله -: «(فقال) أي: الملكُ (أبشرْ) أي: افرحْ (بنورين) سمّاهما نورين؛ لأنّ كلّاً منهما يكون لصاحبه نوراً يسعى أمامه، أو لأنّه يرشده ويهديه بالتأمّل فيه إلى الطريق القويم، والمنهج المستقيم... (وخواتيم سورة البقرة) وهي من ﴿آمن الرسول﴾ إلى آخر السّورة، كذا قيل، والأظهر بصيغة الجمع أن يكون من قوله: ﴿لله ما في السماوات والأرض﴾ [البقرة: ٢٨٤].

(لن تقرأ) الخطاب له - عليه الصّلاة والسّلام -، والمراد: هو وأمّته؛ إذ الأصل مشاركتهم له في كلّ ما أُنزل عليه إلّا ما اختصّ به (بحرفٍ منهما) أي: بكلّ حرفٍ من الفاتحة وخواتيم البقرة... وأراد بالحرف: الطّرف منها... وكنّى به عن كلّ جملةٍ مستقلّةٍ بنفسها (إلّا أُعطيتَه) أي: أُعطيت ما اشتملت عليه تلك الجملة من المسألة، كقوله: ﴿اهدنا الصّراط المستقيم﴾، وكقوله: ﴿غفرانك﴾، وكقوله: ﴿ربّنا لا تؤاخذنا﴾، ←

---

١ - النّقيض: الصّوت.

٢ - رواه مسلم (٨٠٦).

و نظائر ذلك ، ويكون التأويل في غير المسائل فيما هو حمده وثناؤه : أعطيت ثوابه » . (١)

قلت : والقرآن كله نور ، يكشف ظلمات الجهل ، وبه يميز الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والحسن من القبيح ،
قال الله - تعالى - : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾ [النساء : ١٧٤] .
وقال الله - تعالى - : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ [التغابن : ٨] .

إن القرآن لنور يستضاء به
تهدي مع السنة المثلى إلى الرشد
فخذ به صعداً إن كنت في خفض
وخذ به سفلاً إن كنت في صعد

١- « مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » (٧/١٩٧) باختصار .

الوسام الرابع عشر

القرآن ذخر لصاحبه في السماء

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، أوصني.
قال: عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله.
قلت: يا رسول الله، زدني.
قال: «عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء». (١)

الشرح:
قوله: «وذخر لك في السماء» أي: هو أجرك، وشفاعتك، ودرجتك، ومنزلتك، فقد ادخر لك ذلك كله في السماء.

قال عبد الكريم العماد ـ حفظه الله ـ:

نور الوجوه لحامليه نضارة
ويكون ذخراً في المعاد جزيلا

وقال غيره:

هنيئاً لمن قد جاد يسعى بنوره ... وطوبى لمن في الحشر أقبل يعمل
إذا فخر الإنسان يوماً برتبة ... محافظة بالفخر أولى وأفضل

١- (حسن لغيره) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢/٧٦)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٢٠): «حسن لغيره».

الوسام الخامس عشر

القرآن روح صاحبه في السماء، وذكره في الأرض

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: أن رجلاً جاءه، فقال: أوصني.

فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبلك، فقال:

«أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض». (١)

الشرح:

قال المناوي - رحمه الله -: «(وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن) أي: الزمهما (فإنه) يعني: لزومهما (روحك) بفتح الراء، راحتك (في السماء، وذكر لك في الأرض) بإجراء الله ألسنة الخلق بالثناء الحسن عليك، أي: عند توفر الشروط والآداب». (٢)

١- (صحيح) أخرجه أحمد (١١٧٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٥٥).

٢- «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٧٨٤).

الوسام السادس عشر
القرآن حبل طرفه بيد الله، والطرف الآخر بيد صاحبه

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
« أبشروا، فإن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً ».(١)

الشرح:
قال ابن الأثير - رحمه الله -: « السبب: هو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء ».(٢)

قوله: « فتمسكوا به » أي: لأنه يتوصل به إلى الخروج من الفتنة، والبعد عن الضلال والكفر.

---

١ - « النهاية في غريب الأثر » (٢ / ٨٢٠).
٢ - (صحيح) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٦٨٢)، وابن حبان في « صحيحه » (١٢٢)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٤)، وفي « الصحيحة » (٧١٣).

الوِسَامُ السَّابعَ عَشَرَ

حِفْظُ القُرآنِ خيرٌ مِنْ متاعِ الدُّنيا

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ - رضي اللهُ عنه - قال:
خرج علينا رسولُ اللهِ - صلّى اللهُ عليه وسلّم - ونَحْنُ في الصُّفَّةِ، فقال:
« أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يومٍ إلى بُطْحانَ أو إلى العَقِيقِ، فيأتي منه بناقَتَيْنِ كَوْماوَيْنِ، في غيرِ إِثْمٍ ولا قَطيعةِ رَحِمٍ؟ ».
فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، نُحِبُّ ذلك.
قال: « أفلا يَغْدُو أَحَدُكُم إلى المسجدِ، فيَعْلَمَ - أو يَقْرَأَ - آيتَيْنِ من كتابِ اللهِ خيرٌ له من ناقتَيْنِ، وثلاثٌ خيرٌ له مِنْ ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ له من أربعٍ، ومِنْ أعدادِهِنَّ من الإبِلِ ». (١)

الشَّرح:
قولُهُ: « في الصُّفَّةِ »: هو موضعٌ مُظَلَّلٌ آخِرَ المسجدِ النَّبويِّ، كان يأوي إليه فُقَراءُ المُهاجرين.
« أن يَغْدُوَ » أي: يذهبَ أوَّلَ النَّهارِ.
و« بُطْحانُ والعَقيقُ »: واديانِ بالمدينةِ، ولعلَّهما مَكانانِ لاجتماعِ الإبِلِ، قاله عبدُ المحسنِ العبّادُ. (٢)
والنَّاقةُ الكَوْماءُ: هي العظيمةُ السَّنامِ، وقد كانتِ الإبلُ يومئذٍ من أنفسِ أموالِ العَرَبِ.
قولُهُ: « في غيرِ إثمٍ ولا قطيعةِ رحمٍ » قال العبّادُ - رحمه الله -: « يعني: كونه يحصلُ عليها مِنْ غيرِ أنْ يكونَ عن سرقةٍ، أو عن طريقِ غَصْبٍ، أو ما إلى ذلك مِنْ أَخْذِ المالِ بغيرِ حقٍّ، وكذلك كونُهُ يحصلُ عليها مِنْ غيرِ شَحْناءَ

١- رواه مسلم (٨٠٢).
٢- " شرح سنن أبي داود " للعبّاد (٨/ ١٢٩).

قوله: «أفلا يغدو أحدكم ...» الخ

قال العبّاد - رحمه الله -: «يعني: من تعلّم آية فهي خير له من ناقة، ومن تعلّم آيتين، فهي خير له من ناقتين كوماوين، وكذلك كلّما زاد من آية، فهي خير من الزيادة التي تماثلها ... وهذا فيه دليل على فضل تعلّم القرآن، والعناية بالقرآن».(١)

١- المرجع السابق (٨/ ١٢٩).

الوسام الثامن عشر:

حافظ القرآن غنيٌّ بلا مال.

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: أتت النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - امرأةٌ فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «ما لي في النساء من حاجةٍ». فقال رجلٌ: زوِّجنيها؟ قال: «أعطها ثوبًا». قال: لا أجد. قال: «أعطها ولو خاتمًا من حديد». فاعتلَّ له، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا. قال: «فقد زوَّجتكها بما معك من القرآن». (1)

الشرح:

«(فاعتلَّ له): حزن وتضجَّر من أجله، أو تعلَّل أنه لم يجده». (2)

قال أحمد الجروي - رحمه الله -: «لقد ظهر بهذا الحديث فضل القرآن على صاحبه في الدين والدنيا، فينفعه في دينه بما فيه من المواعظ والآيات، وينفعه في دنياه؛ لأنه قام له مقام المال الذي يتوصل به إلى النكاح وغيره من المقاصد». (3)

والله أعلم

1- رواه البخاري (٥٠٢٩) ومسلم (١٤٢٥).

2- تعليق البغا (٦/١٩٢)

3- «المتواري على تراجم البخاري» (١/٢٩٢).

الوسام التاسع عشر

حافظ القرآن حافظ الكتب المنزلة قبله

قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]

وعن واثلة بن الأسقع -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:
«أُعْطِيتُ مكان التوراة السَّبْعَ [الطِّوَال]، وأُعْطِيتُ مكان الزبور المِئِينَ، وأُعْطِيتُ مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ». (١)

الشرح:

قال الجزائري -رحمه الله- في تفسيره للآية السابقة:
«يخبر -تعالى- أنه أورث أمة الإسلام الكتاب السابق؛ إذ كل ما في التوراة والإنجيل من حق وهدى قد حواه القرآن الكريم، فأمة القرآن قد ورثت الله -تعالى- كل الكتاب الأول». (٢)

وقال المناوي -رحمه الله-: «(أُعْطِيتُ مكان التوراة السَّبْعَ الطِّوَال) -بكسر الطاء-: جمع طويلة، وأولها البقرة، وآخرها براءة بجعل الأنفال مع براءة واحدة (وأُعْطِيتُ مكان الزبور المِئِين) وهي: كل سورة تزيد على نحو مائة آية (وأُعْطِيتُ مكان الإنجيل المثاني) أي: السورة التي آيها أقل من مائة، وقد تطلق على الفاتحة(٣)، وتطلق على القرآن كله (وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ)(٤) وآخره سورة الناس اتفاقاً».

١- (صحيح) أخرجه أحمد (١٠٧/٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٨٠)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٩).
٢- «أيسر التفاسير» (٢٥٥/٤).
٣- سميت الفاتحة مثاني؛ لتكررها في الصلاة أو الإنزال، فإنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، وبالمدينة حين حولت القبلة.
٤- المُفَصَّل: قصار السور، سميت مفصلاً؛ لكثرة الفصل بينها بالبسملة لقصرها م

والأصحُّ أنَّه أوَّلُ الحجرات » (١)

أكْرِمْ بقومٍ أكْرموا القرآنا
وَهَبُوا لَهُ الأرواحَ والأبْدانا
قومٌ قدِ اختارَ الإلهُ قلوبَهُمْ
لِتَصِيرَ مِنْ غَرْسِ الهُدى بُسْتانا
سُبحانَهُ مَنَّ وَهَبَ الأجورَ لأهْلِها
وهدى القلوبَ وَعَلَّمَ الإنسانا

١- « التَّيسير بشَرْحِ الجامع الصَّغير » (١/٢٤٤).

الوِسَامُ العِشْرُونَ
حافِظُ القُرْآنِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الأُوَلَ مِنَ القُرْآنِ فَهُوَ حَبْرٌ » . (١)

الشرح :

قال الشوكاني - رحمه الله - : « ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ يَعْنِي : القرآن ، ﴿ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ يَعْنِي ، المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عَهْدِهِ - صلى الله عليه وسلم - وحَفِظُوهُ بَعْدَهُ » . (٢)

وقال الألباني - رحمه الله - : « (حَبْرٌ) بفتح المُهْمَلَةِ وكَسْرِهَا أَيْ : عالِمٌ ، كذا وقع في المصادر المذكورة سوى « المُشْكل » و« المستدرك » ، فوقع فيهما بلفظ « خَيْر » بالخاء المُعْجَمَة ، وكذلك وقع في « الجامع الصَّغِير » مَعْزُوًّا للحاكم ، والبيهقي في « الشُّعَب » ، وعليه شرح المناوي ، والله أعلم .

فائدة : المقصود من (السَّبع الأُوَل) : السُّوَر السَّبْعُ الطِّوالُ من أَوَّلِ القرآن ، وهي مع عَدَدِ آياتها :

---

١ - (حسن) أخرجه أحمد (٦/ ٧٢ و ٨٢) ، وابن نصر في « قيام الليل » (ص ٦٩) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٢ /١٥٢-١٥٤) ، والحاكم (١/ ٥٦٤) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه الواحدي في « الوسيط » (٢/ ١٢٢/ ٢) ، والخطيب (١٠/ ١٠٨) ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (٢٢٠٥) .

٢ - « فتح القدير » (٤/ ٢٩٥) .

١- البقرة (٢٨٦)　　　٢- آل عمران (٢٠٠)
٣- النساء (١٧٦)　　　٤- المائدة (١٢٠)
٥- الأنعام (١٦٥)　　　٦- الأعراف (٢٠٦)
٧- التوبة (١٢٩)». (١)

فمن حفظ هذه السور السبع، كان حبراً عالماً، فكيف بمن حفظ القرآن كله عن ظهر قلب؟!

إنها - حقاً - لمنزلة رفيعة، تستحق أن تُسهر الليالي لتحصيلها، وما هي إلا أيام قلائل، تعقبها راحة، كما قيل:

فما هي إلا ساعة ثم تنقضي
ويحمد غبَّ السير من هو سائرُ.

١- «السلسلة الصحيحة» (٥/٢٨٥).

الوِسَامُ الحادي والعِشْرُونَ

حافظُ القرآنِ مَرْفُوعُ المَنْزِلَةِ في الدُّنيا والآخرةِ

عَنْ عامِرِ بْنِ واثلةَ: أنَّ نافعَ بْنَ عَبْدِ الحارثِ لَقِيَ عُمَرَ بعُسْفانَ[1]، وكانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ[2] على مكَّةَ، فقالَ: مَنِ استخلفتَ على أَهْلِ الوادي؟.

فقال: ابنَ أَبْزَى.

قال: ومَنِ ابْنُ أَبْزَى؟.

قال: مَوْلًى مِنْ مَوالينا[3].

قال: فاستخلفتَ عليهمْ مَوْلًى!.

قال: إنَّهُ قارئٌ[4] لكتابِ اللهِ - عزَّ وجلَّ -، وإنَّهُ عالمٌ بالفرائضِ[5].

قال عُمَرُ: أَمَا إنَّ نبيَّكُمْ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - قَدْ قالَ:

«إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهٰذا الكتابِ أقوامًا، ويَضَعُ بهِ آخرينَ». (٦)

الشَّرح:

قال الشَّيخ المُلَّا القاريُّ - رحمه اللهُ -: «(إنَّ اللهَ يرفعُ بهٰذا الكتابِ) أي: بالإيمانِ بهِ، وتعظيمِ شأنِهِ، والعَمَلِ بهِ، والمرادُ بالكتابِ: القرآنُ البالغُ في الشَّرفِ وظهورِ البُرهانِ مَبْلَغًا، لم يَبْلُغْهُ غيرُهُ مِنَ الكتبِ المنزلةِ على الرُّسُلِ المتقدِّمةِ.

١- عُسْفان - بالضَّمِّ -: موضعٌ بَيْنَ مكَّةَ والمدينةِ.

٢- يستعمله: يجعله والياً عليها.

٣- المَوْلَى: هو مَن كان عبداً فأُعْتِقَ.

٤- قارئٌ أي: حافظٌ.

٥- الفرائض: العِلْمُ بقِسْمةِ المواريثِ.

٦- رواه مسلمٌ (٨١٧).

قال الطِّيبيُّ: أُطْلِقَ الكتابُ على القرآنِ؛ ليُثْبِتَ لَهُ الكمالَ، لأنّ اسْمَ الجِنْسِ إذا أُطْلِقَ على فَرْدٍ مِنْ أفرادِهِ، يكونُ محمولاً على كمالِهِ، وبُلُوغِهِ إلى حَدٍّ هُوَ الجِنْسُ كُلُّهُ، كأنَّ غيرَهُ ليسَ منه.

(أقواماً) أيْ: دَرَجَةَ أقوامٍ، ويُكْرِمُهُمْ فِي الدَّارَيْنِ بأنْ يُحْيِيَهُمْ حياةً طَيِّبَةً، ويَجْعَلَهُمْ مِنَ الذين أنعمَ اللهُ عليهم في العُقْبَى.

(ويَضَعُ) أيْ: يُذِلُّ. (به) أيْ: بالإعراضِ عنه، وتَرْكِ العَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ.

(آخرينَ): وهُمْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ به، أو مَنْ آمَنَ به، ولم يعملْ به، قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بهِ كثيراً ويَهْدِي بهِ كثيراً وما يُضِلُّ به إلّا الفاسقين﴾ [البقرة: ٢٦]». (١)

يا حافظَ القرآنِ حسبكَ أنّه
شرفٌ به تتعاظمُ الحسناتُ
ورسالةٌ قدسيّةٌ ونجابةٌ
ومهابةٌ... تعلو بها الدرجاتُ

١- «مرقاة المفاتيح» (٧/١٣٦٢) باختصار.

الوسامُ الثاني والعشرون

إكرامُ حافظِ القرآنِ مِنْ إجلالِ اللهِ

عن أبي موسى الأشعريِّ - رضيَ اللهُ عنه - قال: قال رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم -:

«إنَّ مِنْ إجلالِ اللهِ - تعالى - إكرامَ ذي الشَّيبةِ المُسْلِمِ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيهِ والجافي عنْهُ، وإكرامَ ذي السُّلْطانِ المُقْسِطِ». (1)

الشَّرح:

قال صاحبُ "عونِ المَعْبودِ":

«(إنَّ مِنْ إجلالِ اللهِ) أي: تبجيلِهِ وتعظيمِهِ (إكرامَ ذي الشَّيبةِ المُسْلِمِ) أيْ: تعظيمَ الشَّيخِ الكبيرِ في الإسلامِ بتوقيرِهِ في المجالسِ، والرِّفْقِ بهِ، والشَّفقةِ عليهِ، ونحوِ ذلك، كلُّ هذا من كمالِ تعظيمِ اللهِ لحرمتِهِ عندَ اللهِ، (وحاملِ القرآنِ) أيْ: وإكرامِ حافظِهِ، وسمَّاهُ حاملاً له بما يحملُ
مشاقَّ كثيرةٍ تزيدُ على الأحمالِ الثَّقيلةِ، قاله العزيزيُّ.
قال القاري: أيْ وإكرامَ قارئِهِ وحافظِهِ، ومفسِّرُهُ (غيرِ الغالي)
بالجرِّ (فيهِ) أيْ: في القرآنِ، والغُلُوُّ: التَّشديدُ ومجاوزةُ الحدِّ،
يعني: غيرَ المُتجاوزِ الحدَّ في العملِ بهِ، وتتبُّعِ ما خفيَ منهُ، واشتبهَ
عليهِ من معانيهِ، وفي حُدودِ قراءتِهِ ومخارجِ حروفِهِ، قاله العزيزيُّ.
(والجافي عنهُ) أيْ: وغيرِ المُتباعدِ عنهُ، المُعْرِضِ عن تلاوتِهِ، وإحكامِ
راءتِهِ، وإتقانِ معانيهِ، والعملِ بما فيهِ.

١- (حسن) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢١٩٩)، و«المشكاة» (٤٩٧٢).

وقيل: الغُلُوُّ: المُبالغةُ في التَّجويدِ، أو الإسراع في القراءةِ، بحيثُ يمنعهُ عن تَدبُّرِ المعنى.
والجفاءُ: أن يتركَهُ بَعْدَما عَلِمَهُ، لا سيَّما إذا كان نَسِيَهُ، فإنَّهُ عُدَّ من الكبائرِ...
وحاصِلُهُ: أنَّ كُلاًّ من طرفي الإفراطِ والتَّفريطِ مَذمومٌ، والمحمودُ هُوَ الوَسَطُ العَدْلُ المُطابِقُ لحالِهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - في جميعِ الأقوالِ والأفعالِ، كذا في "المرقاة شرح المشكاة".
(وإكرامَ ذي السُّلطانِ المُقْسِطِ) - بضمِّ الميم - أي: العادلِ ». (١)
قال عبدُ الكريمِ العمَّادُ - حفظه اللهُ -:

فيا حامِلَ القرآنِ طُوباكَ إنَّها لَمَنْزِلةٌ هَزَّتْ قُلُوبَ الخلائقِ
أرى النَّاسَ في إجلالِهِم لكَ أيقَنُوا بأنَّكَ أهلُ المَكْرُماتِ السَّوابقِ.

١- «عون المعبود» (١٣/١٩٣) باختصار.

الوسام الثالث والعشرون

حافظ القرآن يتأسى بالنبي - صلى الله عليه وسلم -

عن فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرها : "أن جبريل كان يعارضه[1] بالقرآن كل سنة مرة ، وإنه قد عارضني به العام مرتين ، ولا أرى[2] الأجل إلا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري ؛ فإني نعم السلف[3] أنا لك !". [4]

الشرح :

تعلم - أخي - أن الله - سبحانه وتعالى - جعل لنا في نبينا - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة ، فقال - جل جلاله - :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [الأحزاب : ٢١].

قال ابن كثير - رحمه الله - : "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أقواله ، وأفعاله ، وأحواله". [5]

وحفظ القرآن الكريم فيه من التأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ إذ كان - عليه الصلاة والسلام - يحفظه ، ويديم تلاوته ، ومعارضة جبريل به ، وقد نبه على هذا المعنى أبو الفضل الرازي المقرئ ، فقال : "منها : ما لزم الأمة من الاقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في

١- المعارضة : المقابلة والمدارسة.

٢- أرى - بضم الهمزة - : أظن.

٣- السلف : المتقدم ، ومعناه : أنا متقدم قدامك ، فتردين علي.

٤- رواه البخاري (٦٢٨٥) ، ومسلم (٢٤٥٠).

٥- "تفسير ابن كثير" (٦/٢٩).

أمر الشرع وحفظه، قولاً وفعلاً، على الوجوب أو الندب، إلى أن يقوم دليل على أنه كان - عليه السلام - مخصوصاً به من قوله أو فعله، فلما وجدنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان حافظاً بجميع ما نزل عليه من القرآن، ومأموراً بقراءته، حتى إنه - عليه السلام - من شدة تمسكه بحفظه كان يعرض على جبريل - عليهما السلام - مرتين، وكان يعرض على أصحابه، ويعرضون عليه، ويعجل به، ليستكثر منه بالتذاكر حتى نهي عنه بقوله - تعالى - : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ [طه: ١١٤].

وبقوله - عز وجل - : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ [القيامة: ١٦] وأمر بالترتيل، وأنه مما كان يصده عن ذلك، وهو خشية النسيان والتفلت منه بقوله - تعالى - : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ [الأعلى: ٦].

- علمنا أن الأمة لزمها حفظه مع الإمكان وجوباً، إلا عمن عذر بليغ، وإلا فقد كان لهم في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة استحباباً وندباً». (١)

ثم قال - بعد أن ذكر وجوهاً أخرى - : «غير أني أتقدم عليه بسند ما تقدم من قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - وعرضه على غيره، وعرض الصحابة - رضي الله عنهم - بعضهم على بعض، ففي جميع ذلك مستدل أنه من الله - سبحانه وتعالى - دعا به إلى حفظه، وعطف على العمل بما فيه، وأن لا يسع أحداً أن يتخلف عن حفظه أو تحفظه، وتلاوته على الدوام إلا عن عذر ظاهر». (٢)

١- «فضائل القرآن» لأبي الفضل الرازي (ص ٤٥-٤٦).

٢- المرجع السابق (ص ٥). وانظر كتاب «حفظ القرآن» (ص ٣-٤).

الوصية الرابعة والعشرون

حفظ القرآن تأسيًا بالسلف

حفظ القرآن في مقتبل العمر، ومطلع الشباب تأسيًا بالسلف، وسيرًا على جادتهم، وسلوكًا لطريقهم؛ فقد كانوا يبتدئون بحفظ القرآن قبل سائر العلوم، ويعتنون به قبل بقية الفنون، وما أن تقرأ في ترجمة أحد أهل العلم إلا وترى في سيرته: «لقد حفظ القرآن ثم ابتدأ في طلب العلم».(1)

قال أبو الفضل الرازي -رحمه الله-: «وعلى الحفظ والتحفظ كان الصدر الأول، ومن بعدهم، ثم بما مر الأكبر منهم على الأصغر منه حتى أمسى يفقد -فلم يكن الفقهاء منهم ولا المحدثون والوعاظ يتخلفون عن حفظ القرآن، والاجتهاد على استظهاره(2)، مثل المقربين منهم غير العلم بما لم يسعهم جهله منه، ثم إنهم نسبوا إلى ما غلب عليهم من المعرفة بحروفه، أو العلم بغيرها إلى أن خلفهم الخلف الذين مضى ذكرهم، فاتهم في طرائقهم وحداثتهم طلب حفظ القرآن في أوانه، وحجبهم العجز والبلادة على سنتهم، من غير أن كان لهم أنس بتلاوة كتاب من بينهم عز لا بلطيف خطابه، وشريف إيتائه»(3).

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب، لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف -رحمهم الله-،

1- «حفظ القرآن» (ص).

3- «فضائل القرآن» لأبي الفضل الرازي (ص٢٢).

2- استظهاره أي: قراءته عن ظهر القلب لا من المصحف.

ومن تقدَّم في سبق السلف عامداً ضلّ، ومن تعدّاه مجتهداً زلّ، فأول العلم حفظ كتاب الله - عز وجل - وتفهّمه». (١)

وقال محمد بن الفضل بن محمد - رحمه الله -: «سمعت جدي - يعني ابن خزيمة - يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة، ففعلت، فلما عيّدنا أذن لي». (٢)

وقال الإمام النووي - رحمه الله -: «كان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن». (٣)

~~١- فضائل القرآن، لأبي الفضل الرازي (ص٢٢).~~

١- «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٦٦).

٢- «حال السلف مع القرآن» (ص٥).

٣- «المجموع» للنووي (١/ ٢٨).

الدرس الخامس والعشرون

حافظُ القرآنِ قائمٌ بوصيةِ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -

عن طلحةَ بنِ مُصرِّفٍ قال: «سألتُ عبدَ الله بنَ أبي أوفى - رضي الله عنهما -: هل كان النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أوصى؟
قال: لا. فقلتُ: كيفَ كُتِبَ على الناسِ الوصيةُ - أو أُمِروا بالوصيةِ -؟
قال: أوصى بكتابِ الله» (١).

الشرح:

حافظُ القرآنِ قائمٌ بالوصيةِ العظمى التي أوصى بها النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -، فإنَّه ما خلَّفَ درهمًا ولا دينارًا، ولا أوصى بأرضٍ ولا ضياعٍ، ولكنَّه أوصى بكتابِ الله.
قال ابنُ حجرٍ - رحمه الله -: «والمرادُ بالوصيةِ بكتابِ الله: حفظُه حِسًّا ومعنًى، فيُكرَمُ ويُصانُ، ولا يُسافَرُ به إلى أرضِ العدوِّ، ويُتَّبَعُ ما فيه، فيُعمَلُ بأوامرِه، ويُجتنَبُ نواهيه، ويُداوَمُ تلاوتُه، وتعلُّمُه وتعليمُه، ونحوُ ذلك» (٢).

١- رواه البخاريُّ (٢٧٤٠)، ومسلمٌ (١٦٣٤).
٢- فتح الباري (٩/٦٧).

الوسام السادس والعشرون

حافظ القرآن يحافظ أعظم معجزة عرفتها البشرية

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».(1)

الشرح:

إن من سنة الله في الأنبياء جميعا أن يؤيدهم الله بالمعجزات، فما يبعث نبيا إلا أعطاه معجزة يستدل بها على نبوته، ويثبت بها رسالته، ويتحدى بها كل من عارضه وكذب به، فالمعجزة أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي الرسالة، ليكون شاهدا بإثباتها لهم، كما أعطى الله موسى -عليه السلام- العصا، وكما أعطى عيسى -عليه الصلاة والسلام- إبراء الأكمه(2) والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، وهذا هو معنى قوله: ما من نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر.

أي: ليس هناك نبي إلا وقد أعطي من المعجزات ما يكفي لإثبات رسالته، فما ينظر أحد إلى المعجزة التي ظهرت على يديه من ذوي النفوس السليمة من العناد والاستكبار إلا بادر إلى الإيمان به، كما فعل سحرة فرعون لما شاهدوا معجزة موسى -عليه الصلاة والسلام- (وإنما كان الذي أوتيته

1- رواه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢).

2- الأكمه: الذي يولد أعمى.

وحيًا أوحاه الله إليّ) أي: إنما كان المعجزة العظمى التي أعطاها الله لي هو هذا الكتاب الذي لا يزال باقيًا إلى يوم القيامة، فما من أحد يقرأه متأملًا ومتدبرًا دون عناد أو حسد أو تكبر إلا ويعرف أنه كلام الله، وأنه من عند الله لما فيه من أنباء الغيب التي لا تأتي إلا من خبر السماء، ولما اشتمل عليه من الأحكام والقواعد الإلهية التي تضمن حقوق الإنسان من دين أو نفس أو مال أو نسب أو عقل أو عرض. (1)

قال الشاعر:

أتى بكتاب أعجز الخلق لفظه فكل بليغ عنده صار أبكما
تحدى به أهل البلاغة كلهم فلم يفتحوا فيما يعارضه فما
حوى كل برهان على كل مطلب ويعرف هذا كل من كان أفهما.

وقال آخر:

يا حافظًا لكتاب الله أنت فتى للمكرمات بإذن الله حمّالُ
إني أناديك من بين الأنام وقد أحاط بالقدس أخطار وأهوالُ
أربأ بعلمك عن دنيا تدنسه فكل علم لغير الله صلصالُ

1- شرح مختصر صحيح البخاري لابن قاسم (٥/٧٩).

الوِسَامُ السَّابِعُ والعِشْرُونَ

حِفْظُ القرآنِ يُؤَثِّرُ على أخلاقِ حافظِهِ

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قال: « سَأَلْتُ عائشةَ أُمَّ المؤمنين - رضي اللهُ عنها -، فقلتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ -.

قالتْ: أَمَا تَقْرَأُ القرآنَ؟.

قُلْتُ: بَلَى.

قالتْ: كانَ خُلُقُهُ القرآنَ ». (١)

الشَّرْحُ:

قال السِّنْدِيُّ - رحمه الله -: « وكونُ خُلُقِهِ القرآنَ: هو أنَّهُ كانَ مُتَمَسِّكًا بآدابِهِ وأوامرِهِ، ونواهيهِ ومحاسنِهِ، ويُوَضِّحُهُ: أنَّ جميعَ ما قَصَّ اللهُ - تعالى - في كتابِهِ مِنْ مكارمِ الأخلاقِ مِمَّا قَصَّهُ مِنْ نبيٍّ أو وليٍّ، أو حثَّ عليهِ، أو نَدَبَ إليهِ - كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - مُتَخَلِّقًا بهِ، وكلُّ ما نَهَى اللهُ - تعالى - عنهُ فيهِ ونَزَّهَهُ، كانَ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - لا يَحُومُ حَوْلَهُ ». (٢)

فما مِنْ شَكٍّ أنَّ حافظَ القرآنِ يتأثَّرُ بالقرآنِ أعظمَ مِنْ تأثُّرِ الصاحبِ بالصاحبِ.

قال الآجُرِّيُّ - رحمه الله - عن حافظِ القرآنِ الذي يتلوهُ حقَّ تلاوتِهِ، ويَرْعاهُ حقَّ رعايتِهِ -:

« إذا تلا القرآنَ استعرضَ القرآنَ، فكانَ كالمرآةِ، يَرَى بها ما حَسُنَ مِنْ فِعْلِهِ، وما قَبُحَ منهُ، فما حذَّرَهُ مولاهُ حَذِرَهُ، وما خَوَّفَهُ بهِ مِنْ عقابِهِ خافَهُ، وما رَغَّبَهُ فيهِ مولاهُ رَغِبَ فيهِ ورَجَاهُ ». (٣)

وفي ذلك يقولُ أستاذُنا عبدُ الكريمِ العمادُ - حفظه الله -:

تَجَنَّبْ رِفاقَ السُّوءِ واحْذَرْ فإنَّنِي ... أَرَى المرءَ يُعْدِي مَنْ يُدانِي ويَقْتَدِي

وصاحِبْ كتابَ اللهِ أعظمَ صاحبٍ ... سَتَهْدِي بهِ خُلُقًا كثيرًا وتَهْتَدِي.

١- رواه مسلم (٧٤٦).

٢- « حاشية السِّنْديِّ على النَّسائيِّ » (٢/٢٠٠).

٣- « أخلاق حملة القرآن » للآجُرِّيِّ (ص٢٩).

قُلْتُ: حُفّاظُ القرآنِ الذينَ هُمْ أهلُهُ نرى تلكَ الأخلاقَ في سُلوكِهم القويم، فما تجدُ حافظاً مُعتنياً بالقرآنِ دائمَ المراجعةِ له حتى لَكأنّه بينَ عينيه؛ إلّا رأيتَ القرآنَ قد انعكسَ على سُلوكِه وأقوالِه وشمائلِه، ما بينَ مُستقلٍّ ومُستكثِرٍ، كما قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقد بَلَغَنا أثرُ ذلكَ الخُلُقِ القويمِ في مشايخِنا وطُلّابِنا مِن حَفَظةِ القرآنِ، فوجدْنا التأثُّرَ بيِّناً.

وخُذْ بكتابِ اللهِ حسبُكَ إنّهُ ... دليلٌ عجيبٌ للطريقِ خفيرُ(1)

فما ضلَّ مَنْ كانَ القرآنُ دليلَهُ ... وما خابَ مَنْ خيرُ القرآنِ سميرُ

تمسَّكْ بهِ في حالةِ السُّخطِ والرِّضا ... وطَهِّرْ بهِ الآناتِ فهوَ طَهورُ

وحارِبْ بهِ الشيطانَ والنفسَ تنتصرْ ... فكا منيعٌ منهُ عاصمٌ ونصيرُ

وهِمّتُكَ لا تَرْكَنْ بالسَّهلِ فاجتَهِدْ ... وسَدِّدْ وقارِبْ والطريقُ مُنيرُ.

١- الخفيرُ: المجيرُ الحارسُ المانعُ.

الوصية الثامنة والعشرون

القرآن يظل صاحبه يوم القيامة

في يوم القيامة تعظم الأهوال، وتشتد الكروب، ومن أهوال وكروب ذلك اليوم العصيب ما جاء عن المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:
«تُدنى الشمس(١) يوم القيامة من الخلق، حتى تكون كمقدار ميل».
قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فوالله، ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين؟!(٢)
قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه(٣)، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً».
قال: وأشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده إلى فيه.(٤)
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يعرق الناس يوم القيامة، حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم».(٥)

١- تُدنى الشمس أي: تقرب.
٢- الميل - بالكسر -: ثلث فرسخ، أي: ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع، بحسب اختلافهم في الفرسخ، هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء، أو اثنا عشر ألف ذراع بذراع المحدثين. انظر «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص١٦٧٢).
قال المباركفوري - رحمه الله - في «تحفة الأحوذي» (٦ / ٢١١): «قال الشيخ عبد الحق في «اللمعات»: الظاهر أن المراد: ميل الفرسخ، وكفى ذلك في تعذيبهم وإيذائهم، وأما احتمال إرادة ميل المكحلة فبعيد».
٣- حقويه: مثنى حقو، وهو الكشح ومعقد الإزار.
٤- رواه مسلم (٢٨٦٤).
٥- رواه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

وعن سلمان الفارسيّ - رضي الله عنه - قال:
«تُعطى الشمس يوم القيامة حرّ عشر سنين، ثمّ تُدنى من جماجم الناس، حتّى تكون قاب قوسين (١)، فيعرق قوم حتّى يرشح العرق في الأرض قامة (٢)، ثمّ يرتفع حتّى يُغرغر الرجلُ».
قال سلمان: «حتّى يقول الرجل: غرغر». (٣)

سبحان الله! فمن شدّة هول الموقف، ودنوّ الشمس من رؤوس الخلائق، صار العرق يجري سائحاً في وجه الأرض كالماء في الوادي، بعد أن شربت منه الأرض، وغاص فيها سبعين ذراعاً.
فلنبادر - إذاً - إلى الأسباب التي تنجّينا وتخلّصنا من تلك الأهوال، ومن جملة تلك الأسباب حفظ كتاب الله - تعالى - والعمل به.
فعن أبي أمامة الباهليّ - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - يقول:
«اقرؤوا القرآن، فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.
اقرؤوا الزهراوين: البقرة، وآل عمران، فإنّهما تأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان، أو كأنّهما غيايتان، أو كأنّهما فِرقان من طير صوافّ تحاجّان عن أصحابهما.
اقرؤوا سورة البقرة، فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة».

١- قاب قوسين أي: قدر طولهما.
٢- قامة أي: قدر انتصاب الإنسان قائماً.
٣- أخرجه الطبراني، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢٢/٧) رقم (٣٤٦٨٠)، وصحّحه الألباني في «ظلال الجنة» (٨١٢).

قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة. (١)

الشرح:

قال المباركفوري - رحمه الله -: " (اقرءوا) أي: على الخصوص (الزهراوين) تثنية الزهراء تأنيث الأزهر، وهو المضيء الشديد الضوء أي: المنيرتين لنورهما وهدايتهما وعظم أجرهما لقارئهما، فكأنهما بالنسبة إلى ما عداهما عند الله مكان القمرين من سائر الكواكب، لكثرة أنوار الأحكام الشرعية والأسماء الإلهية فيهما (غمامتان) أي: ثوابهما الذي استحقه التالي العامل بهما (كأنهما غمامتان) أي: سحابتان تظلان صاحبهما عن حر الموقف، وإنما سمي غماما؛ لأنه يغم السماء أي: يسترها (أو غيايتان) مثنى غياية، قال القاري: قيل: الغمامة: ما يغم الضوء ويمحوه لشدة كثافته، والغياية: ما يكون أدون من الغمامة في الكثافة، وأقرب إلى رأس صاحبه، كما يفعل بالملوك، فيحصل عنده الظل والضوء جميعاً.

وقال الحفني: غيايتان أي: لهما نور وضياء زيادة على حصول الاستظلال بهما.

(أو فرقان) تثنية فرق - بكسر الفاء وسكون الراء - أي: قطيعان (صواف) جمع صافة، وهي الجماعة الواقفة على الصف، وصف الطائر جناحيه أي: بسطهما ولم يحركهما، والمعنى: باسطات أجنحتها متصلاً بعضها ببعض، بحيث لا يكون بينها فرجة، والمراد: أنهما يقيان قارئهما من حر الموقف وكرب يوم القيامة.

وليست (أو) للشك، ولا للتخيير في تشبيه السورتين، ولا للترديد، بل للتنويع وتقسيم القارئين:

فالأول - لمن يقرؤهما ولا يفهم المعنى.

والثاني - للجامع بين التلاوة ودراية المعنى.

---

١ - رواه مسلم (٨٠٤).

والثالث – لمن ضمّ إليهما التّعليم والإرشاد.
(تُحاجّانِ) أي: الشّورتانِ تُدافعانِ الجحيمَ والزّبانيةَ، أو تُجادلانِ وتُخاصمانِ الرّبَّ (عن أصحابهما) وهو كنايةٌ عن المبالغةِ في الشّفاعةِ.
قاله القاريُّ.
(اقرؤوا سورةَ البقرةِ، فإنّ أخذَها) أي: في المواظبةِ على تلاوتِها والتّدبّرِ في معانيها، والعملِ بما فيها (بركةٌ) أي: زيادةٌ ونماءٌ، وقيل: أي: منفعةٌ عظيمةٌ (وتركَها حسرةٌ) أي: تلهّفٌ وتأسّفٌ على ما فات من الثّوابِ، وقيل: ندامةٌ يومَ القيامةِ (ولا تستطيعُها) أي: لا يقدرُ على تحصيلِها (البَطَلةُ) أي: أصحابُ البطالةِ والكسالةِ لطولِها ولتعوّدِهم الكسلَ.
قال القاريُّ: وقيل: البَطَلةُ: السّحرةُ، لأنّ ما يأتون به باطلٌ، سمّاهم باسم فعلِهم الباطلِ أي: لا يؤهّلون لذلك، ولا يُوفّقون له، لطمسِ قلوبِهم بالمعاصي، ويمكنُ أن يقالَ: لا تقدرُ على إبطالِها – أو على صاحبِها – السّحرةُ، لقولِه – تعالى – فيهم:
﴿وما هم بضارّين به من أحدٍ إلّا بإذن الله﴾ [البقرة: ١٠٢]، (١).

بل إنّ حافظَ القرآنِ يُظِلُّه اللهُ في ظلِّ عرشِه يومَ لا ظلَّ إلّا ظلُّه، كما في حديث أبي هريرةَ – رضي الله عنه – مرفوعًا:
«سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلّا ظلُّه» وذكر من السّبعةِ:
«وشابٌّ نشأ في عبادةِ ربِّه». (٢)
فالشّابُّ الّذي نشأ في بيوتِ اللهِ، وعلى حفظِ كتابِ اللهِ، وتدبّرِه وتبعا هديِه – من أولى النّاسِ بهذا الوصفِ «شابٌّ نشأ في عبادةِ ربِّه».
فلم يبقَ مستظلٌّ بظلِّ العرشِ ويبقى واقفًا لحرِّ الشّمسِ قد أصهرته،

---

١ – «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ١٨٨ – ١٩٠) بتصرّفٍ واختصارٍ.
٢ – رواه البخاريُّ (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

واشتدَّ مني كَرْبُهُ وقَلَقُهُ، فتوهَّم نفسَه في ذلك الموقفِ الرَّهيبِ، فإذ بك لا محالة واحدٌ منهم!.
فحريٌّ بك - أخي - أن تحفظ كتابَ الله، وأن تأخذ بوصيَّة ابنِ الوَرْديِّ - رحمه الله - إذْ قال:

واهجُرِ النَّوْمَ، وحَصِّلْهُ فَمَنْ
يَعْرِفِ المَطْلُوبَ يَحْقِرْ ما بَذَلْ
لا تَقُلْ: قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبابُهُ
كُلُّ مَنْ سارَ على الدَّرْبِ وَصَلْ.

الوسام التاسع والعشرون
حفظ القرآن سبب للنجاة من النار

عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
« لو جُعل القرآن في إهاب، ثم أُلقي في النار - ما احترقه ».
وفي رواية: « ما مسته النار ». (١)

الشرح:
قال أبو عُبيد - رحمه الله -: « أراد بالإهاب: قلب المؤمن الذي وعى القرآن ». (٢)
وقال يزيد بن عمرو - رحمه الله -: سألت الأصمعي عن الحديث، فقال:
« في إهاب يعني: في إنسان، أراد أن من علّمه الله القرآن من المسلمين، وحفّظه إياه - لم تحرقه النار يوم القيامة، إن أُلقي فيها بالذنوب ». (٢)
وقال ابن هانئ لأحمد بن حنبل - رحمهما الله -: « ما معنى لو كان القرآن في إهاب، ما مسته النار؟ ».
قال: « هذا يُرجى لمن القرآن في قلبه ألا تمسه النار ». (٤)

وقال أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه -:
« اقرءوا القرآن، ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يُعذب قلباً هو وعاءٌ للقرآن ». (٥)

١- (حسن) أخرجه أحمد (٤/١٥٥)، والدارمي (٣١٩٢)، والطبراني في « الكبير » (١٧/ ٣٠٨)، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٢٨٢).
٢- « فضائل القرآن » لأبي عُبيد (ص٤٣).
٣- « فضائل القرآن » للرازي (ص ١٥٥).
٤- « الآداب الشرعية » لابن مفلح (٢/ ١٨١).
٥- « الإحياء » (١/ ٢٧٢).

الوسام الثلاثون

حفظ القرآن سببٌ لدخول الجنة

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال في هذه الآية:

﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ [فاطر: ٣٢]

قال: «كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». (١)

وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «القرآن شافعٌ مشفَّعٌ، وماحِلٌ مصدَّقٌ، من جعله أمامه، قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه، ساقه إلى النار». (٢)

شرح الحديث الأول:

قال ابن سعدي -رحمه الله-: «﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ بالمعاصي التي هي دون الكفر ﴿ومنهم مقتصد﴾ مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ أي: سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه.

فكلهم اصطفاهم الله -تعالى- لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكلٍّ منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان من وراثة؛ لأن المراد بوراثة الكتاب: وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج

١- (صحيح) أخرجه الترمذي (٣٢٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥٧٧).

٢- (صحيح) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٧٩٢)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/٢٤٤) عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٣).

تعالى.

وقوله: ﴿بإذن الله﴾ راجع إلى السابق بالخيرات؛ لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله - تعالى - ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله - تعالى - على ما أنعم به عليه.

﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ أي: وراثة الكتاب الجليل لمن اصطفى تعالى - من عباده - هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه كالعدم، فأجل النعم - على الإطلاق - وأكبر الفضل وراثة هذا الكتاب». (١)

شرح الحديث الثاني:

قال المناوي - رحمه الله -: «(القرآن شافع مشفع) أي: مقبول الشفاعة... (من جعله أمامه) بفتح الهمزة أي: اقتدى به بالتزام ما فيه من الأحكام (قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار)؛ لأنه القانون الذي تستند إليه السنة، والإجماع، والقياس، فمن لم يجعله أمامه فقد بنى على غير أساس». (٢)

وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: «في الحديث: (القرآن ماحل مصدق) أي: ساع، وقيل: خصم مجادل». (٣)

فمن كان يرجو أن يفوز بجنة فجنته في فهمه إذ يرتل

تباركت يا ربي لك الملك كله فما شئت يا مولاي في الملك تفعل

أعنا على حفظ الكتاب وفهمه فإياك نستهدي وإياك نسأل

١- «تفسير ابن سعدي» (ص ٦٨٩).

٢- «التيسير بشرح الجامع الصغير» للمناوي (٢/٢٩٥).

٣- «غريب الحديث» لابن الجوزي (٢/ ٣٤٥).

الوسام الحادي والثلاثون

حافظ القرآن يلبس تاج الكرامة، وحلة الكرامة، ويرضى الله عنه

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حلّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويزاد بكل آية حسنة». (١)

الشرح:

(حلّه) أي: ألبسه حلياً، والحلي: هو ما تزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة. (٢)

قال الخطابي - رحمه الله -: «الحلة: ثوبان: إزار ورداء، ولا تكون حلة إلا وهي جديدة تحل من طيها فتلبس». (٣)

ولا يكتفي القرآن بإلباس صاحبه تاج الكرامة وحلتها حتى يرضى الله عنه، فيرضى عنه، وليس بعد رضى الله شيء.

١- (حسن) أخرجه الترمذي (٢٩١٥)، والدارمي (٢٢٠٤)، والحاكم (٢٠٢٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٣٠).

٢- انظر «لسان العرب» (٢/ ٢١١).

٣- «النهاية في غريب الأثر» (١/ ١٠٢٥)

قَالَ الشَّاطِبِيُّ - رحمه الله -:

يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ
وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلا[1] .[2]

١- المُنَاشَدَة: المُبالغة في الطَّلَب. والسُّؤْل: المسئول وهو المطلوب.
والمعنى: يُناشِدُ القرآنُ ربَّهُ في رضاه عن حبيبِ القرآنِ، وهو حافظُهُ العاملُ به، وما أحقَّ مَسْئُولَهُ أنْ يُوصَلَ إليه.

٢- "حرز الأماني ووجه التهاني" (ص٦) تحقيق الزعبي.

الوِسَامُ الثَّانِي والثَّلاثُونَ

حافِظُ القرآنِ يَسْتَولي على أَقْصَى دَرَجِ الجَنَّةِ في الآخِرَةِ

عَنِ ابْنِ عَمْرٍو - رضي اللهُ عنهما - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم - قال: «يُقَالُ لِصاحِبِ القُرآنِ: اقْرَأْ وارْتَقِ، ورَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا، فإنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُها». (١)

الشَّرح:

قال المباركفوريُّ - رحمه الله -: «(يُقَالُ) أي: في الآخِرَةِ عِنْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ (لِصاحِبِ القُرآنِ) أي: مَنْ يُلازِمُهُ بالتِّلاوةِ والعَمَلِ (اقْرَأْ وارْتَقِ) أَمْرٌ مِنَ الارْتِقاءِ أي: اصْعَدْ، وفي رِوايةِ أحمدَ والتِّرمذيِّ: (اقْرَأْ وارْقَ) وهُوَ أَمْرٌ مِنْ رَقِيَ يَرْقَى رَقْياً أي: اصْعَدْ إلى دَرَجاتِ الجَنَّةِ، وارْتَفِعْ فيها، يُقالُ: رَقِيَ الجَبَلَ وفيه وإليه رَقْياً ورُقِيّاً أي: صَعِدَ (ورَتِّلْ) أي: اقْرَأْ بالتَّرتيلِ، ولا تَسْتَعجِلْ في قِراءَتِكَ (كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا) مِنْ تَجويدِ الحُروفِ، ومَعرِفةِ الوُقُوفِ (فإنَّ مَنْزِلَكَ) وفي رِوايةِ أحمدَ، والتِّرمذيِّ: (فإنَّ مَنْزِلَتَكَ)، وكذا وقع في بعضِ النُّسَخِ ~~من~~ سُنَنِ أبي داوُدَ (عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُها).

---

١ - أخرجه أحمدُ (٢/١٩٢)، وأبو داوُدَ (١٤٦٤)، والتِّرمذيُّ (٢٩١٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٨١٢٢)، و«الصَّحيحة» (٢٢٤٠).

قال الخطابي في «المعالم»(١): قد جاء في الأثر(٢): أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقارئ: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

وأخرجه أحمد، وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ:
(يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه)(٢) هذا لفظ ابن ماجه.

١- «معالم السنن» (١/ ٢٨٩).

٢- جاء هذا الأثر موقوفاً على عائشة - رضي الله عنها -، وقد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٢٠) رقم (٢٩٩٥٢): حدثنا محمد بن عبد الرحمن السدوسي عن معفس بن عمران عن أم الدرداء قالت: دخلت على عائشة فقلت: «ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة؟».
فقالت عائشة: «إن عدد درج الجنة على عدد آي القرآن، فليس أحد ممن دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن».
قال الألباني - رحمه الله - في «الضعيفة» (٥/ ٢٢٩) رقم (٢٢٤٠):
«ومعفس هذا ترجمه ابن أبي حاتم (٤/ ١/ ٤٢٢) برواية اثنين آخرين عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ومحمد بن عبد الرحمن السدوسي أورده ابن أبي حاتم (٣/ ٢/ ٣٢٤) برواية وكيع عنه، ولم يزد، فهو مجهول. ووكيع - وهو ابن الجراح - من شيوخ ابن أبي شيبة الذين يكثر عنهم، فالظاهر أنه سقط اسمه من «ابن أبي شيبة»، كما أن اسم شيخه وقع فيه (مقعس) بالقاف ثم العين، وهو خطأ مطبعي، وجملة القول: أن إسناد هذا الأثر ضعيف، والله أعلم».

١- أخرجه أحمد (٣/ ٤٠)، وابن ماجه (٣٧٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٢١).

وقوله: (معه) صريح في أن المراد بصاحب القرآن: حافظه دون الملازم للقراءة في المصحف». (١)

وقال ابن حجر الهيتمي -رحمه الله-: «الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف؛ لأن مجرد القراءة في المصحف لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون، وإنما الذي يتفاوت هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا تتفاوت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم». (٢)

وقال الألباني -رحمه الله-: «واعلم أن المراد بقوله: (صاحب القرآن): حافظه عن ظهر قلب على حد قوله -صلى الله عليه وسلم-: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) (٣) أي: أحفظهم، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو على حسب الحفظ في الدنيا، وليس على حسب قراءته يومئذ واستكثاره منها، كما توهم بعضهم، ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله -تبارك وتعالى-، وليس للدنيا والدرهم والدينار؛ وإلا فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: (أكثر منافقي (٤) أمتي قراؤها) (٥)». (٦)

١- «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٠٨-٢٠٩) باختصار.

٢- «الفتاوى الحديثية» (ص ١٥٦).

٣- سيأتي -إن شاء الله- تخريجه.

٥- أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٥١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٧٥) عن ابن عمرو، وأحمد -أيضاً- (٤/ ١٥١، ١٥٤-١٥٥)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢١١) عن عقبة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٥٠)، و«صحيح الجامع» (١٢٠٢).

٤- أراد بالنفاق هنا: نفاق العمل -وهو الرياء- لا الاعتقاد؛ لأن النفاق: إظهار خلاف ما في الباطن.

٦- «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٢٢٩).

قال الشاعر:

يا حامل الذكر في الفردوس تقرأه ... من نهج داود قد أوتيت مزمارا

رتل كما كنت في الدنيا ترتله ... واقطف بجو من جنانه الخلد أثمارا

وقال الإمام الشاطبي - رحمه الله - وأبدع:

وحين الفتى يرتاع في ظلماته

من القبر يلقاه سنا متهللا (١)

هنالك يهنيه مقيلا وروضة

ومن أجله في ذروة العز يجتلى (٢)؟ (٢)

١- يرتاع: يفزع ويخاف. والسنا - بالفتح والقصر -: الضوء الساطع.
والمتهلل: الباش المسرور.
والمعنى: إذا كان حافظ القرآن تخشى أعماله السيئة المظلمة، أو تخشى ظلمات القبر، فإن القرآن يلقاه مشرقا باش الوجه، فيأنس به، ويستبدل خوفه أمنا وطمأنينة.

٢- ذروة الشيء - بالكسر والضم -: أعلاه، والجمع ذرا، والمراد بذروة العز هنا: أعلى درجات الجنة. ويجتلى: ينظر إليه بارزا، مأخوذ من قول العرب: اجتليت العروس: إذا نظرت إليها بادية في زينتها.
والمعنى: ومن أجل حفظه القرآن يجتلى الحافظ في أعلى درجات الجنة يوم القيامة.

٢- "حرز الأماني ووجه التهاني" (ص) تحقيق الزعبي

الوصايا الثالث والثلاثون

حافظ القرآن صاحب التجارة الرابحة يوم القيامة

عن بُريدة - رضي الله عنه - قال: كنت عند النبي - صلى الله عليه وسلم -، فسمعته يقول:

«يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، يقول لصاحبه: هل تعرفني؟، أنا الذي كنت أُسهر ليلك، وأُظمئ هواجرك(١)، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيُعطى المُلك بيمينه، والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حُلّتين لا تقوم لهما الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب، أنّى لنا هذا؟! فيقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن. وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ وارقَ في الدرجات، ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية معك».(٢)

الشرح:

قال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل - رحمه الله -:

«معنى القرآن يجيء: إنما يجيء ثواب القرآن». (٣)

وقال البغوي - رحمه الله -:

«قوله: (يُعطى المُلك بيمينه) لم يُرِد به: أن شيئاً يوضع في يديه، وإنما أراد به: يُجعل له المُلك والخُلد، ومن جُعل له شيء مِلكاً، فقد جُعل في يده، ويقال: هو في يدك وكفك أي: استوليت عليه». (٤)

١- الهواجر: جمع هاجرة، وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر، أو من عند الزوال إلى العصر، لأن الناس يستكنّون في بيوتهم، كأنهم قد تهاجروا.

٢- (حسن) أخرجه أحمد (٢٢٠٢٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥٨٩٤)، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٣٤)، و«الصحيحة» (٢٨٢٩).

٣- «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد بن حنبل (ص١٦٨).

٤- «شرح السنة» للبغوي (٤/ ٤٥٥).

وقال السُّيوطيُّ - رحمه الله -: «قوله: (كالرَّجل الشَّاحِب): هو المُتغيِّر اللَّون والجِسم لعارض من العوارض: كمرضٍ، أو سفرٍ، أو نحوهما، وكأنَّه يجيء على هذه الهيئة؛ ليكون أشبه بصاحبه في الدُّنيا، أو للتَّنبيه له على أنَّه كما تغيَّر لونه في الدُّنيا لأجل القيام بالقرآن، كذلك القرآن لأجله في السَّعي يوم القيامة، حتَّى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة».(١)

فأبشر - يا حافظ القرآن - فكلما أتعبت نفسك بالسَّهر في اللَّيل، والصَّوم في النَّهار، واجتهدت بالحفظ والمُراجعة، والانتقال من شيخ إلى شيخ، حتَّى شحب لونك وجسمك، فكذلك يأتيك ثواب القرآن يوم القيامة على مثل هيئتك هذه، فيكون لك من وراء كلِّ تجارة، فلا يتركك حتَّى تنال الغاية القصوى في الآخرة.

وهذا الحديث مصداقه لقوله - تعالى -:
* إنَّ الَّذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصَّلاة وأنفقوا ممَّا رزقناهم سرًّا وعلانية يرجون تجارة لن تبور (٢٩) ليوفِّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنَّه غفور شكور * [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

١- «شرح سنن ابن ماجة» مجموع من شروح ثلاثة (١/٢٧٨).

أخرج عبدُ الرزّاقِ قال: حدَّثنا غُنْدَرٌ عن شُعْبَةَ عن يَزِيدَ الرِّشْكِ عن مُطَرِّفٍ قال:
﴿إنَّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة﴾ إلى آخر الآية،
قال: «هذه آيةُ القُرَّاءِ». (١)

١- أخرجه عبدُ الرزّاق في «مُصَنَّفه» (٢٠١١٩).

الوسام السابع والثلاثون

حافظ القرآن يتمتع بقوة الذاكرة، وحفظ العقل من الخرف

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: «الذين قرءوا القرآن».(1)

الشرح:

أَرْذَلُ العُمُرِ: آخره في حال الكبر والعجز والخرف حتى لا يعقل شيئاً، وهو شر كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ منه دبر كل صلاة.

فعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات».(2)

فهنيئاً لك - يا حافظ القرآن - تتمتع برجاحة عقلك وكماله، مهما بلغت من الكبر عتياً!.

قال عبد الملك بن عمير - رحمه الله -: «كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً قراء القرآن».(3)

1- (صحيح) رواه الحاكم في «المستدرك» (2/576)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (1435).

2- رواه البخاري (4707)، ومسلم (2706).

3- «الدر المنثور» (5/147).

وقالَ محمدُ بنُ كعبٍ - رحمه الله -: «مَنْ قَرَأَ القرآنَ مُتِّعَ بعقلِه، وإنْ بَلَغَ مائتَيْ سَنَةٍ». (١)

وهذا أمرٌ مشهودٌ في الواقع، فكم قد رأينا وبلغنا عن قُرَّاءٍ مُعمَّرين، لم يَجِدِ الخَرَفُ إلى عقولِهم سبيلاً، ولا الثِّقَلُ والإعياءُ إلى مداركِهم طريقًا.

ولله دَرُّ أستاذِنا عبدِ الكريمِ العمادِ - حفظه الله - حيثُ قال:

لَمْ يَخْشَ في عقلِه ضَعْفًا ولا خَرَفًا
مَهْما استطالَ على حالاتِه العُمُرُ
وكيفَ يَخْرَفُ مَنْ في عقلِه سَكَنَتْ
ونَوَّرَتْ قَلْبَهُ الآياتُ والسُّوَرُ؟!

١- «صفة الصفوة» (٢/ ١٢٢).

الوسام الخامس والثلاثون

حافظ القرآن أحق بالإمامة

عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
« يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فأقدمهم سلماً - وفي رواية: سناً -، ولا يؤمن الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه ». (١)

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: « كان سالمٌ مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين، وأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في مسجد قباء، فيهم: أبو بكر، وعمر، وأبو سلمة، وزيد، وعامر بن ربيعة » (٢)
وفي رواية: « وكان أكثرهم قرآناً ». (٢)

الشرح:
قال الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان:
« قوله: (أقرؤهم لكتاب الله) أي: أكثرهم حفظاً، فمن حفظ القرآن كاملاً مقدم على من حفظ نصفه مثلاً، بدليل حديث عمرو بن سلمة المتقدم، وفيه: (وليؤمكم أكثركم قرآناً) (٤)، فيكون هذا الحديث

١- رواه مسلم (٦٧٢).
٢- رواه البخاري (٧١٧٥).
٣- رواه البخاري (٦٩٢).
٤- رواه البخاري (٤٣٠٢).

مُبيِّناً للمرادِ بحديثِ أبي مسعودٍ...
قولُهُ: (فأعلمُهُم بالسُّنَّةِ) أي: بأحكامِ الشَّريعةِ مِن صلاةٍ، وصيامٍ، وحجٍّ، ونحوِ ذلكَ.
قولُهُ: (فأقدمُهُم هجرةً) الهجرةُ معناها: الانتقالُ مِن بلدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، وهي باقيةٌ إلى قيامِ السَّاعةِ، والمعنى: أنَّ مَن هاجر إلى رسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم - أوَّلاً يُقدَّمُ على مَن هاجر بعدَهُ؛ لأنَّهُ أكثرُ منهُ علماً.
قولُهُ: (فأقدمُهُم سِلْماً) - بكسرِ السِّينِ المهملةِ، وسكونِ اللامِ - أي: إسلاماً، وأمَّا روايةُ: (سِنّاً) فلا تعارضُ الأولى، بل إحداهُما تُفسِّرُ الأخرى؛ لأنَّ مَن كان أكبرَ سِنّاً فهو مُقدَّمٌ سِلْماً؛ لأنَّ المقصودَ أكبرُهُم سِنّاً في الإسلامِ.
قولُهُ: (في سُلطانِهِ) المرادُ بهِ: محلُّ ولايتِهِ، سواءٌ كانت ولايةً عامَّةً - أي: الولايةُ العُظمى - أو ولايةً خاصَّةً: كصاحبِ البيتِ.
قولُهُ: (تَكْرِمَتِهِ) - بفتحِ التَّاءِ، وسكونِ الكافِ، وكسرِ الرَّاءِ - المرادُ بهِ: الفراشُ وغيرُهُ ممَّا يُوضعُ لصاحبِ المنزلِ، ويختصُّ بهِ، والغالبُ أنَّ ذلكَ يكونُ في صدرِ المجلسِ كما هو الملاحظُ الآنَ »
إلى أن قال: « لكنْ لابُدَّ أن يكونَ - أي: الأقرأُ - عالماً بأحكامِ صلاتِهِ؛ إذْ ليسَ للجاهلِ بأحكامِ الصَّلاةِ أن يَؤُمَّ النَّاسَ.
قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: ولا يخفى أنَّ محلَّ تقديمِ الأقرأِ إنَّما هو حيثُ يكونُ عارفاً بما يتعيَّنُ معرفتُهُ مِن أحوالِ الصَّلاةِ، فأمَّا إذا كان جاهلاً بذلكَ، فلا يُقدَّمُ اتِّفاقاً؛ والسَّببُ فيهِ أنَّ أهلَ ذلكَ العصرِ كانوا يعرفونَ معانيَ القرآنِ؛ لكونِهِم أهلَ اللِّسانِ، فالأقرأُ منهم - بلِ القارئُ - كان أفقهَ في الدِّينِ مِن كثيرٍ من الفقهاءِ الذين جاؤوا بعدَهُم ». (1)

1- « مِنحةُ العلَّامِ في شرحِ بُلوغِ المرامِ » لعبدِ اللهِ بنِ صالحٍ الفوزانِ (٦/ ٢١٧-٢١٨) باختصارٍ

وقال الشيخ أبو العباس أحمد الأنصاري القرطبي - رحمه الله - :
« إذا اجتمع جماعة صالحون للإمامة، فكان أحدهم أكثر قرآناً، كان أحقهم بالإمامة؛ للمزية الحاصلة فيه، فلو كانوا قد استظهروا القرآن كلّه، فمن تجح من كان أتقنهم قراءة، وأضبط لها، وأحسن ترتيلاً، فهو الأقرأ بالنسبة إلى هؤلاء ». (١)

وقال ابن حجر - رحمه الله - عن الحديث الثاني :
« ووجه الدلالة منه: إجماع كبار الصحابة القرشيين على تقديم سالم عليهم، وكان سالم المذكور مولى امرأة من الأنصار فأعتقته ... وإنما قيل له: مولى أبي حذيفة؛ لأنه لازم أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة، بعد أن عتق فتبنّاه، فلما نُهوا عن ذلك قيل له: مولاه ... واستشهد سالم باليمامة في خلافة أبي بكر - رضي الله عنهما.
قوله: (وكان أكثرهم قرآناً) إشارة إلى سبب تقديمهم له، مع كونهم أشرف منه ». (٢)
وسالم هذا هو أحد القرّاء الأربعة الذين حثّ النبي - صلى الله عليه وسلم - على أخذ القرآن عنهم .
فعن ابن عمرو - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: « استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به -، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل ». (٢)

---

١ - « المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم » (٦/٨٢).

٢ - « فتح الباري » (٢ / ١٨٦).

٣ - رواه البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (٢٤٦٤).

وفي ذلك يقول محمد العقيل :

كم حافظاً للذكرِ يعيدُ ذِكْرَهُ   قد كرَّم الرحمنُ فيه إحْسانِه

فَلَهُ الوقارُ وإنه يؤمُّ مقدَّماً   وهو المفضَّلُ حامِلُ القرآنِ

الدرس السادس والثلاثون

حافظ القرآن مقدم في المجالسة والمشاورة.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا[1] كانوا أو شبانا.[2]

الشرح:

هنيئا لك - حافظ القرآن - فأنت المقدم في المجالسة والصحبة والمشاورة، فالقلوب تهفو إليك، وتحن إلى مجالستك، وتطمئن إلى مشاورتك، فالموفق منهم من فقه الأمر لا يخالف البطانة الصالحة، وخاصة القراء كما فعل عمر بن الخطاب الموفق المحدث الملهم - رضي الله عنه - والقراء هم حفاظ القرآن الكريم.

١- كهولا: جمع كهل - بالفتح - وهو من جاوز الثلاثين أو أربعا وثلاثين إلى إحدى وخمسين، وسمي كهلا لاجتماع شبابه وتمام قوته، يقال: قد اكتهل النبات: إذا تم وقوي واستوى.
٢- رواه البخاري (٤٦٤٢).

الدرس السابع والثلاثون

حافظ القرآن مقدم عند الدفن

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟» فإذا أشير له إلى أحدٍ، قدمه في اللحد. (١)

الشرح:

إنها منقبة لحافظ القرآن، وأي منقبة؟! فهو مكرم حياً وميتاً، إذ هو في قبره مقدم بما معه من القرآن، وكفى بها منقبة!

~~١- رواه البخاري (١٣٤٣) ومسلم (٢٢٩٦)~~

١- رواه البخاري (٤٠٧٩).

الوسام الثامن والثلاثون
إكرام والدي حافظ القرآن

عن بُرَيدة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

« من قرأ القرآن وتعلَّمه وعمل به، أُلبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتين لا تُقوَّم بهما الدنيا[1]، فيقولان: بم كُسينا هذا؟!.
فيقال: بأخذ ولدكما القرآن ». (٢)

الشرح:
تأمَّل - حافظ القرآن - إلى جود الله، وعظيم كرمه، إذ شمل إكرامك إكرام والديك!
ثم قل لي بربك أي عبادة قد رتَّب الله الأجر العظيم للوالدين إكراماً للولد زيادة على ما أكرمه الله به؟!.
ثم اعلم - يا حافظ القرآن - أن كثيراً من حفاظ القرآن قديماً وحديثاً إنما كان الدافع لهم على حفظ القرآن أول الأمر هو بر الوالدين، وليس هنا محل سرد القصص، ويكفي أن أقول لك: إن أحد كبار علماء القراءات في عصرنا فقد أباه في طفولته، ففقد جنته وأنسه، فلما سمع أستاذه يحدثه بهذا الحديث، انطلق إلى حفظ القرآن بهمة وقادة كأنها جذوة نار براً بأبيه.
وعموم القراء حافلة بمثل هذا، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن الزاد ما بلَّغ المحل.

١- لا تُقوَّم أي: لا تُثمَّن.
٢- (حسن لغيره) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١/٧٥٦)، وقال المحدث الألباني في « صحيح الترغيب » (١٤٢٢): « إسناده حسن ».

وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله -:

فيا أيها القارئ به متمسكاً
مُجِلاً له في كل حال مُبجِّلا
هنيئاً مريئاً والداك عليهما
ملابس أنوار من التاج والحُلى
فما ظنكم بالنجل عند جزائه ؟!
أولئك أهل الله والصفوة المَلا (١) (٢)

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

حفظ بنيك الذكر يا رجل
فلك الثنا والأجر إن فعلوا
من يحفظ الذكر الحكيم رقى
ولوالديه التاج والحلل.

١- النجل: الولد، وصفوة كل شيء: خالصه، والملا: أصلها: الملأ، فخففت الهمزة، وملأ القوم: أشرافهم.
٢- "حرز الأماني ووجه التهاني" (ص) تحقيق الزعبي.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف معك - أخي الكريم - في رياض الكتاب والسنة وما كتبت هذه الرسالة إلا وأنا على يقين أنك إن كنت حافظاً فإنك سوف تزداد حفظاً وإتقاناً وحرصاً على ما معك حرص البخيل بماله.

وإن كنت لم تحفظ بعد فإنك سوف تركب جواد العزم فتدرك من سبقك في هذا المضمار متخذاً من رسالتي هذه حادٍ مشوق للوصول إلى ما تأمل فتوكل على الله واسأله التوفيق والسداد فمن الذي توكل على الله ثم لم ينل حاجته ومن ذا الذي سأل مولاه وأدمن الطرق ثم لم يحظ بمراده وعليك برسالتي «صناعة الحفظ»[1] فإنها تختصر لك الطريق وتحدد لك الهدف إن شاء الله.

وختاماً

نور جبينك في هدى القرآن ... واقطف حصادك بعد طول نضال

واسلك درب العارفين بهمة ... والزم كتاب الله غير مبال

فهو المعين على الشدائد وطأة ... وهو المهيمن فوق كل مجال

وهو الشفيع على الخلائق شاهداً ... في موقف ينجي من الأهوال

قرآننا سيظل نور هداية ... دستور أمتنا مدى الأجيال

نور تكفله الإله بحفظه ... من أن تناوله يد الأنذال

يا من يقطع ليله بترنم ... قد فزت في الإدبار والإقبال

يا حافظ السبع الطوال وسورة ... الرحمن والفرقان والأنفال

فليهنك الحفظ الجليل وقبله ... نور الهداية في جميل خصال

فالله يسّر عند حفظ كتابه ... وأعد للتالين حسن مآل

١- كتاب «صناعة الحفظ» ضمن في دفتيه قواعد سهلة ووسائل مبتكرة لحفظ القرآن الكريم.

وأخصّ قوماً بالعناية فضله   وتواترت أخبارهم في الحالِ

أهلُ الإله هم حماة كتابه   الذائدون بروحهم والمالِ

قد فاز من جعل الكتابَ قرينه   ودليله – أبداً – إلى الأفضالِ

الفهرس